وزارة الثقافة والإرشاد
مديرية الثقافة العامة

سلسلة الكتب الحديثة
١٤

بدر شاكر السياب

رائد الشعر الحر

تأليف
عبد الجبار داود البصري

تصميم : نوري الراوي
خط : الخطاط غني

وزارة الثقافة والارشاد
مديرية الثقافة العامة

سلسلة الكتب الحديثة
١٤

بدر شاكر السياب

رائد الشعر الحر

تأليف
عبد الجبار داود البصري

دار الجمهورية
بغداد
١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م

منك واليك يا بدر ..

المقدمة

في صباح يوم من أيام كانون الاول سنة ١٩٦٤ كان حفنة من الافراد لا يتجاوزون العشرة عدا يشيعون جنازة أحد المرضى وافاه الاجل المحتوم في المستشفى الاميري في الكويت فنقل الى أهله في البصرة ..

أما الجنازة فكانت ضئيلة جدا ، واما موكب التشييع فكان متواضعا جدا وقد تمت مراسيم الدفن في مقبرة الحسن البصري في قضاء الزبير بكل هدوء واطمئنان وبساطة .

وفي اليوم الذي ووري فيه التراب كانت السماء ممطرة .. كأنها تحقق دعاء الشاعر القديم بالسقيا كلما ودع فقيدا عزيزا .. أو كأنها تبكي الفقيد الذي عرف بحبه للمطر وكثرة أناشيده اليه .

اما المتوفى فكان بدراً .. وأما المشيعون فكانوا أقاربه الاقربين وبعض الاصدقاء الاوفياء من محبي الشعر ومتذوقيه .. وتمنيت أن أكون في عدادهم لاني كنت من المقربين لديه والمعجبين به ولكني كنت أعيش تجربة واجتاز ظروفا لا أحسد عليها فلم يكن ما أردت .

وما أن أذيع نبأ الوفاة وتناقلته أفواه القوم حتى تغير الموقف من تلك الجنازة الضئيلة الجرم واذا هو حديث كل صحيفة ومجلة ومحفل أدبي .

واذا بالضجة الادبية تتعالى رويدا رويدا ، تبدأ حيية متواضعة ثم تتحول الى تظاهرة أدبية كبيرة وكبيرة جدا واذا بالاقلام تطنب في تحليل شاعرية الفقيد تحليلا فيه العمق أحيانا وفيه التسرع أحيانا أخرى ..

ويكتب البعض كتابا عنه ، ويختاره ثان موضوعا لاطروحة علمية ينال بها درجة الدكتوراه في الادب ويشيع ثالث بأنه يعكف على جمع آثار بدر في محاولة جادة لانصافه .

ويوما بعد يوم يتقهقر تاريخ الوفاة وينحدر في كبد الماضي وما زالت الضجة في ازدياد ، والكتابة عنه في فيض ونمو .

ومنذ أن عرفت بوفاته تحسست أني مدين اليه وان الواجب الخلقي يدعوني للكتابة عنه وأن ما كتبته عنه خلال حياته غير كاف فقررت أن أجمع مقالاتي عنه وأضيف اليها فصولا جديدة لتكون كتابا .

وفعلا ولد هذا الاثر فبلغ مع النماذج المختارة من محاضرات السياب وقصصه واستجواباته وترجماته حجما ضخما فتقدمت به الى وزارة الثقافة والارشاد العراقية أطلب العون في طبعه ٠

وسار الطلب في طريقه الرسمي وأسفرت النتيجة عن رغبة الوزارة المذكورة في طبع كتاب عن السياب باعتباره شاعرا عراقيا يستحق الاكبار والتقدير ولكنها ترتأي أن يكـون هذا الكتـاب أصغر حجما من كتـابي ، ومجردا من المختارات النثرية والترجمات ٠٠ واقترحت علي أن أعيد النظر في فصولى فاتخلى عن بعض وابقي البعض الآخر وأسلكها في نهج جديد ٠٠ فلم أشأ أن أرفض وكانت وجهة نظرها مقنعة ٠٠ فتوكلت على الله وبدأت في اعداد هذا البحث ٠

يتناول هذا البحث شاعرية السياب قبل أن يتناول شخصه وهو اقرب الى النقد الادبي منه الى التراجم والسير ٠٠ وخطتي في اعداده هي : تحليل تجاربه في الحياة من خلال شعره ثم دراسة بنية القصيدة الداخلية واطارها ٠ مع دراسة ميزات النسيج الشعري وبيان الشيء الجديد فيها دون محاباة أو تطرف في الرأي والتقييم ، ثم دراسة المضمون والمحتوى ٠٠ وستتضمن الخاتمة عرضا مقتضبا لآثاره الشعرية والنثرية ٠٠ مع الاشارة الى بعض آرائه في الشعر ٠٠ وسافرغ منها الى بيان القيمة الحقيقية لشاعريته وبيان أثرها في نفوس محبيه وأنصاره في فصل عما بعد السياب ٠

ولست بطامع أن يكون هذا الكتاب أكثر من رسالة حب ووفاء لاخ عرفته عن كثب ، فاحببته وأحبني ، وأطراني اطراء كثيراً ، فيه غلو فكل ما ساقوله بحقه قليل ٠٠

البصري

التجـــربـة

١

كل قصيدة من قصائد السياب تعبر عن تجربة ، وحياته غنية جـدا بالتجارب ، واحصاء التجارب في مدى حياته ولوحة شعره حديث يطول .

وتجارب السياب في شـعره مشبعة بالمرارة والالم .. ومن أبرزهـا تجـاربه في الحب ، والثورة ، والحاجة ، والحنين الى الماضي ، والمرض الوبيل .

أحب السياب في بواكير حياته وهو شاب تحتضنه قرية جيكور الخضراء الحالمة على ضفاف شط العرب ، الملتفة بغابات النخيل .

وجيكور قرية صغيرة لها ذكريات تاريخية عميقة تتصل بثورة الزنج في العصر العباسي وهي تقع جنوبي مركز قضاء أبي الخصيب وهي منه ، ويقع أبو الخصيب جنوبي البصرة وهو منها .

يتراءى لنا بدر في قصائده الاولى مرحا جذلا يتنقل في حقول جيكور يستريح في ظل هذه النخلة أو تلك ، ويأوي عند هذا المنحنى أو ذاك .

فهو تارة على ضفة الشط يراقب عشرات الاشرعة البيض تنساب على الامواج منحدرة نحو « الفاو » أو صاعدة نحو « العشار » .

وهو تارة غائص القدمين في بساط من العشب اللدن .

كانت الشمس تضاحكه ، وكان يضاحكها ، والطيور تشدو له ويشدو لها ويود لو يغوص في أعماق « بويب » الى قراره يلقط المحار .

في هذه اللحظات السعيدة من حياته التقى براعية ولعلها لم تكن راعية بل فتاة قروية اعتادت بين الفينة والفينة أن تراقب بقرة العائلة أو الشياه •• فتطلع اليها وتطلعت اليه وتغلغلت النظرة الى أعماق ذاته والى أعماق ذاتها فأحس كل منهما احساسا غريبا فيه عذوبة وفيه طراوة •• وما هي الا برهة فتبسم له ويبسم لها ابتسامةبيضاء مشرقة وتعقب الابتسامة أحاديث وتحايا •

وتمتد أواصر المحبة وتقوى ، وتتعمق وشائج اللقيا ، وتتعدد أسبابها واذا بالمواعيد تضمهما معا عند شاطىء بويب حينا وفي منحنى طريق ريفي حينا آخر وفي جوسق لبيادر التمور مرة ثالثة •

ويأبيان الا أن يعيشا الاماسي وأوقات الصباح معـا يرسمان خطوط لوحة الغد ، وهمـا غارقان في النشوة بين كوخ قصبي صغير يحميهما من أعين الرقباء •

ويضيء الحب أمام السياب كل معالم الريف وشواهده فيجد في النخلة والشراع وأعشاش العصافير ، وقواقع النهر معاني جديدة لم يعرفها من قبل أن يتحابا •

وترتبط شواهد خاصة ارتباطا وثيقا بذاته فيحبها كما أحب سمراءه •

وكانت سنوات دراسته في كلية التربية مليئة بحنينه الى قرويته الحسناء حيث ينتظر العطلة بفارغ الصبر •• ويدعوه حنينه الى أن يخاطب الليالي بأن الخريف عريان لائذ بالتلال فلتنزع من يمينه صبغة الموتى وترش بها اخضرار الدوالي لـكي يقترب موعد لقيا الحبيبين اللذين ألحـا بالسؤال والحفـا •

وذات يوم بينما هو عائد من بغداد يلتقي بحبيبته لقاء شاحبا فتخبره بأنها لم تعد له وان كان قلبها لم يزل عامرا بحبه وهواه •

ان أهلها عقدوا قرانها على شخص سواه فتؤلمه المفاجأة ايلاما شديدا ، ويجن جنونه ، ويشعر بالمرارة والقسوة ، ويمنعه ذهوله وشرود عقله من تصديق الخبر •

ويستمر بعد هذا اللقاء يندب حظه العاثر ويتطلع الى السراب والوهم

لاعنا العادات الشعبية وكافرا بالتقاليد وباحثا عن ضــوء لروحه في القــرية المظلمة وتلك هي أولى تجاربه المريرة .

وقد عبر الشاعر عن اخفاق هواه وأيام المرارة والعذاب تعبيرا رائعا ، حــاد العاطفة فياضها .. فأوحى لنقاده أن يصطلحوا على نعت هــذه الفترة بالرومانسية .. ولعل قصيدة [في السوق القديم] أوفى الشواهد احاطة بهذه التجربة وكان قد نظمها وهو مدرس للغة الانجليزية في ثانوية الرمادي وفي أولى سنواته في معترك الحياة .

تبدأ القصيدة بصفة الليل الذي خيم على السوق .. ويلاحظ أن المطلع قد أثر تأثيرا كبيرا في الشعراء الذين قلدوه أو نافسوه ودخلوا معه في مباراة فنية وأبرزهم البياتي وخاصة في ديوان أباريق مهشمة .

الليل ، والسوق القديم
خفتت به الاصوات الا غمغمات العابرين
وخطى الغريب وما تبث الريح من نغم حزين
في ذلك الليل البهيم .
الليل ، والسوق القديم وغمغمات العابرين
والنور تعصره المصابيح الحزانى في شحوب
ـ مثل الضباب على الطريق ـ
من كل حانوت عتيق
بين الوجوه الشاحبات كأنه نغم يذوب
في ذلك السوق القديم .

ويتذكر وهو في السوق الليالي المقمرات ، ويحلم بالرحيل ، وتتراءى له المناديل الحيارى وهي تومىء بالوداع ، ويصف قلبه في وحشته كالمنزل المهجور أو كالسلم المنهار .. الى أن يقول مصورا موقف لقاءهما الاخير وذهوله :

ما كان لي منها سوى أنا التقينا منذ عام
عند المساء ، وطوقتني تحت أضواء الطريق

ثم ارتخت عنى يداها وهي تهمس – والظلام
يحبو ، وتنطفىء المصابيح الحزانى ، والطريق –
« : أتسير وحدك في الظلام ؟
أتسير والاشباح تعترض السبيل بلا رفيق ؟! »
فأجبتها : « والذئب يعوي من بعيد ، من بعيد
أنا سوف أمضي باحثا عنها سألقاها هناك
عند السراب ، وسوف أبني مخدعين لنا هناك •• »

ويواصل الشاعر نقل الحوار الذي دار بينهما ثم يقول في ختام القصيدة :

••• دعيني أسلك الدرب البعيد
حتى اراها في انتظاري ، ليس أحداق الذئاب
أقسى علي من الشموع
في ليلة العرس التي ترقبين ، ولا الظلام
والريح ، والاشباح أقسى منك أنت ، أو الانام !!
أنا سوف أمضي فارتخت عني يداها ، والظلام
يطغى •• ولكني وقفت وملء عيني الدموع •

وقد ألح الشاعر على هذه المعاني وخاصة معاني الشرود والبحث عنها وعدم التصديق بأنها تزوجت فهي ما زالت هناك في انتظاره متلهفة مشوقة •• في قصائده المثبتة بديوانيه الاول والثاني وهي :

١ – اللقاء الاخير
٢ – أساطير
٣ – اتبعيني
٤ – سوف أمضي
٥ – السراب
٦ – وداع
٧ – ستار
٨ – ملال
٩ – في القرية الظلماء
١٠– هوى واحد
١١– لن نفترق
١٢ـ لا تزيديه لوعة

١٣- في ليالي الخريف
١٤- اغنية قديمة
١٥- ذكرى لقاء
١٦- نهاية
١٧- لقاء ولقاء
١٨- الموعد الثالث

٢

وحين تفتحت بصيرة السياب وباصرته على الواقع في العراق أحس كما أحس سواه ، ورسب في قراره ما رسب في قرار سواه .

تأمل الواقع تأملات فاحصة وكأنه يود لو يخترقها بنظراته ، لو يعريها من قشرتها الخارجية ليفضح اسرارها .

ويطوف في وطنه بين الجماهير حينا ، وبين الطبيعة الصامتة حينا آخر فيجد أن لغة الطبيعة أقوى تأثيرا وكشفا فيستمع من أفواه الجماد ما لم يسمعه من أفواه البشر .

ومن الغرابة أن لا يتجاوب الشاعر مع واقعه بل المفروض أن يكون لسانه المعبر ووجدانه الخفاق ، وعقله المفكر .. وانه لكذلك فلقد كان عند حسن ظن قومه ووطنه به .

وكما يتذبذب الوتر وتخفق أجنحة الطير ، عزفت أصابع الواقع على موهبة هذا الشاب فغنى وأنشد وخاض الغمرات وتوغل في الاحداث .

ارتبط السياب ارتباطا متينا قويا مع اليسار المتطرف في العراق ، فكان ثوريا عنيفا كأعنف ما يكون الثوريون .. يساريا كأوضح ما تكون عليه صورة اليساري .. متجددا الى حد فقدان التوازن .

نزل الى الشارع وراء لافتات المتظاهرين التي حدثت بمناسبة معاهدة بورتسموث سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ فحمل على أعناقهم ليهتف وينشد الشعر فتصفق له ألوف الاكف ، وتدعو له ألوف الحناجر وتباركه القلوب .

وناله ما يناله المتظاهرون في ظل حكم ملكي يتعقب معارضيه فألقي القبض عليه وأودع السجن فتعذب وتألم وذاق مرارة الحبس والاضطهاد .

وراقبته عيون المخبرين تحصي أنفاسه ، وتقيد خطواته ، وتمنعه من الانفلات والفرار اذا ما أراد الانفلات أو الفرار •

وحورب في رزقه ففصل من عمله زيادة في ايذائه وايغالا في تنكيله فهاجر السياب مع من هاجر طلبا للراحة في رأي ، واعتزازا بالعقيدة في رأي آخر ، أو لا هذا ولا ذاك •

فوطأت قدماه ديارا غريبة عن دمه وعن لغته فعرف ذلة الغريب وانكسار نفسه ، ووحشة روحه •• في مناخ اجتماعي غير مناخ قومه ، في ايران •

وعاد الى وطنه ليجد نفسه مرة أخرى مشردا تعوزه النقود فيلجأ الى الكويت •• غريبا على الخليج •

وخلال كل هذا العذاب والحرمان والتشريد كان ثوريا عنيفا في ثوريته ، مقارعا الطغاة قراع الابطال ، وحالما بالفجر حلم يقظة ومنام •

وقد اتخذ من المطر رمزا للثورة •• لان المطر •• رمز الخصب والعطاء وخالق الزهر والثمر وري العطاش •

وغنى للمطر أعز أناشيده وأجملها وواصل غناءه في كل منحنى وأوان •• ويجيء المطر بعد جفاف •

يجيء المطر ليروي الارض الصادية فتكون الثورة في ١٤ تموز ١٩٥٨ وترتوي بابل ــ المدينة بلا مطر ــ وتثور وهران ــ المدينة التي لا تثور ــ[١] •

فيعود الشاعر من غربته ومنفاه ليسمع كركرة الاطفال ، وآه صغيرة اصطادت قمرا يرفرف كالفراشة •

وما هي الا أيام قلائل فيخيب أمله ، وتذوي أحلامه الوليدة وهي طرية •• واذا بالمطر خيوط نار ، واذا بالخصب محل ، واذا بالري ظمأ •• وبابل الخاطئة لم تغسل بعد خطاياها •

فقد انحرفت الثورة عن أهدافها المرسومة ووقع ما لم يكن متوقعا فظلت

---

(١) خاتمة قصيدته ــ رسالة من مقبرة ــ •

المفاهيم والقيم الملكية سائدة بحيث أصبح الجمهوريون ملكيين أكثر من الملك •

ويعود شاعر الثورة من جديد ضحية الثورة ، رهين العذاب والاضطهاد والتنكيل وتتصدى له أيدٍ ظالمة والسنة أشد ظلما وظلاما فتنغرس في أعماقه بذور نقمة أو بذور ثورة على الثورة فيثور ويحقد ويغني أغنيات مريرة بائسة •

هـذا الموقف دعاه الى اعادة النظر في مفاهيمه وافكاره ليعدل فيها ويحور ، ويلغي ويستبدل ، وينقي ويبلور ، وقد فعل كما فعل سواه من وجوه الادب العالمي •

عاش التجربة أعنف وأقسى كثيرا مما عاشها اجناسيو سيلونه في ايطاليا ، ورايت وفاست في امريكا ، وكويستلر في بريطانيا •

وكتب كما كتبوا اعترافات واتهامات تلاقفتها الايدي تطالعها بدقة وامعان وتطلب مزيدا من العمق ، ومزيدا من الفكر ، وشواهد أقوى وأوضح •• ونشرت هذه الاعترافات في جريدة الحرية الصادرة خلال العام ١٩٥٩ •

وقد عبر الشاعر عن ثورته بالقصائد التالية :

١ـ غريب على الخليج ، ٢ـ المخبر ، ٣ـ عرس في القرية ، ٤ـ يوم الطغاة الاخير ، ٥ـ قافلة الضياع ، ٦ـ رسالة من مقبرة ، ٧ـ في المغرب العربي ، ٨ـ قارىء الدم ، ٩ـ النهر والموت ، ١٠ـ أنشودة المطر ، ١١ـ بورسعيد ، ١٢ـ المومس العمياء ، ١٣ـ حفار القبور ، ١٤ـ الاسلحة والاطفال ، ١٥ـ مدينة بلا مطر •

ولبيان مدى ثورته وعنفه وثقته بنفسه وانتصاره نذكر المقطع الآتي من قصيدة ـ قاريء الدم ـ :

أنا أيها الطاغوت مقتحم الرتاج على الغيوب
أبصرت يومك وهو يأزف ••
هذه سحب الغروب

يتوهج الدم في حفافيها وتنثر في الدروب
شفق البنفسج والورود ولون أردية الضحايا •

الى أن يقول :

اني أكلت مع الضحايا في صحافٍ من دماء
وشربت ما ترك الفم المسلول منه على الوعاء
وشممت ما سلخ الجذام من الجلود على ردائي
ونشقت ماء جوارب السجناء في نَفَس الهواء :
فشممتُ فيه دخان دارك واحتراق بنيك فيها
وشواء لحم بنيك ، لولا أن شيمه محرقيها
ألا يذوق الابرياء جزاء غير الابرياء •

وقد شاعت تسمية هذه الفترة في حياة السياب « بالواقعية » •• ومن ابرز قصائده التي عبرت عن اخفاقه في تحقيق أحلامه الثورية قصيدة [مدينة السندباد ••] • والمقصود بمدينة السندباد على الارجح مدينة الشاعر ـ البصرة ـ منظورا للعراق من خلالها •

تبدأ القصيدة في مقطعها الاول ببيان الوضع الاجتماعي والسياسي قبل ثورة ١٤ تموز وحاجته الى المطر :

جوعان في القبر بلا غذاء
عريان في الثلج بلا رداء
صرخت في الشتاء :
أقضّ يا مطر
مضاجع العظام والثلوج والهباء
مضاجع الحجر
وأنبت البذور ، ولتفتّح الزهر
وأحرق البيادر العقيم بالبروق
وفجّر العروق
وأثقل الشجر •

وجئت .. يا مطر ..

وفي المقطع الثاني يبين أن الربيع المنتظر خيب الظن بحيث عادت المزارع سوداء من غير ماء :

أهذا أدونيس ، هذا الخواء ؟
وهذا الشحوب وهذا الجفاف ؟
أهذا أدونيس ؟ أين الضياء ..؟
وأين القطاف ؟
مناجل لا تحصد
أزاهر لا تعقد
مزارع سوداء من غير ماء .

وفي المقطع الثالث يؤرخ بعاطفة حادة ما حل بالعراق خلال الحكم القاسمي فيقول :

الموت في الشوارع
والعقم في المزارع
وكل ما نحبه يموت
الماء قيدوه في البيوت
والهث الجداول الجفاف
هم التتار أقبلوا ، ففي المدى رعاف ..

ويواصل السياب هذه الصور في المقطع الرابع والخامس ويختم القصيدة على النحو التالي :

عشتار عطشى ، ليس في جبينها زهر
وفي يديها سلة ثمارها حجر
ترجم كل زوجةٍ به ، وللنخيل
في شطها عويل .

وقد ألح الشاعر على هذه المعاني في قصائده : ١ـ رؤيا عام ١٩٥٦ ،

٢ـ المبغى ، ٣ـ المسيح بعد الصلب ، ٤ـ سربروس في بابل ، ٥ـ ليلة في العراق ، ٦ـ النبوءة الزائفة ، ٧ـ المعبد الغريق ، ٨ـ ابن الشهيد ، ٩ـ تموز جيكور ،١٠ـ العودة لجيكور •

وقد تعارف الذين كتبوا عن بدر على تسمية هذه الفترة التي أنتج فيها بدر قصائده المشار اليها بالمرحلة « التموزية » لكثرة اقتباسه الاساطير البابلية عن تموز وأدونيس وعشتار ولانه نشر في مجلة شعر وتجاوب مع أسرة تحريرها • وكانوا ينسبون أنفسهم وحركتهم الادبية لتموز •

٣

جذبت المدينة السياب مع الآلاف أو الملايين الذين جذبتهم من أعماق القرى وأقاصي الارياف •

وللمدينة سحرها في أنظار أبناء الريف لما فيها من وسائل حضارية وما فيها من حياة متجددة متحركة •• وما فيها من مجالات للعمل والنشاط ، وتفتح الكفاءة والمواهب ، واستثمار القابليات •

فشد السياب الرحال وغادر الريف •

غادر جيكور ، القرية الجميلة ، مخلفا المزرعة والبقرة والنهر ، والدرابك وأغنية الريف •

غادر جيكور ليتغلغل في كبد المدينة ويجرب حظه ويخوض غمراتها في الطريق نحو القمة والمجد والجاه والثراء •

وأحس في المدينة أحاسيس لم يستشعرها في الريف لان واقعه الجديد يتطلب الغطاء العاطفي والثقافي الذي يلائمه ويتجاوب معه •

وجد نفسه غريبا غربة روحية عنيفة لانه لم يتسلح بما يعينه على أن يشق طريقه في غابة الاسمنت والحديد والكهرباء •

ففي بغداد ••

في ظل القصور ذات الحدائق الغناء ، وفي ظل العمارات الممتدة الى

أجواز الفضاء ، وأمام اعلانات الكهرباء المتلألئة بطيش ونزق أحس الشاعر بضآلته .

أحس الشاعر بانه في حاجة ماسة الى المال لكي ينسجم مع هذا الاطار الجديد .. وزادت حاجته للنقود حين فصل من عمله وشرد خارج وطنه .

وهكذا فقدت المدينة سحرها .

وهكـذا خابت الرحلة من الريف الى المدينـة ، من الطبيعـة الى الحضارة ..

ولم يكتف السياب بالتعبير عن خيبـة هجرته الى المدينة بل حـاول العودة الى الريف فعلا ولكن محاولته لم تعده للريف تماما بل قربته منه .

لم يعـد لجيكور ، ولـكنه عاد للبصرة ، وفي البصرة شعر السياب بالراحة النفسية قليلا وتضاءلت أحاسيس الانسحاق والتدهور في نفسه .

وقد عبر السياب عن حاجته الى المال والتفاوت الطبقي ومرارة العيش في المدينة بقصائده :

١- عرس في القرية ، ٢- غريب على الخليج ، ٣- مرثية الآلهة ، ٤- مرثية جيكور ، ٥- حفار القبور ، ٦- جيكور والمدينة .

ومما قاله في المدينة :

وتلتف حولي دروب المدينة :
حبالا من الطين يمضغن قلبي
ويعطين عن جمرة فيه ، طينه .

* * *

حبالا من النار يجلدن عري الحقول الحزينة
ويحرقن جيكور في قاع روحي
ويزرعن فيها رماد الضغينة

[قصيدة جيكور والمدينة]

ومن أجمل اللوحات التي عبرت عن حاجته للمال ما جاء في قصيدته [غريب على الخليج] حيث يقول :

فلتنطقي يا أنت يا قطرات يا دم يا •• نقود
يا ريح •• يا ابراً تخيط لي الشراع •• متى اعود
الى العراق •• متى أعود ؟
يا لمعة الامواج رنحهن مجداف يرود
بي الخليج ويا كواكبه الكبيرة •• يا نقود

* * *

ما زلت أنقص يا نقود بكن من مدد اغترابي
ما زلت أوقد بالتماعتكن نافذتي وبابي
في الضفة الاخرى هناك فحدثيني يا نقود
متى أعود •• متى أعود •؟!

٤

وعرف السياب وهو يغني كل ما يعرفه الاديب العراقي من أزمات في النشر ، وأزمات في التقبل ، وأزمات في التقدير •

وحورب بسبب غنائه وانتقص من قيمته الحاقدون ، وتجرأ عليه عاذلوه وتنمرت بعض الاقلام فضاعت جواهره أو أوشكت أن تضيع في غبار هذا الموقف السياسي أو ذاك •

وأحس هذا المغنى بعد أن ذاع صيته وعظمت شهرته بفضل أصدقائه واعدائه معا •• أنه لم يبلغ مأمله ولم ينل مبتغاه وأن كل غنائه غناء لا جدوى منه •

وتعب من الحياة ، أحس انه أصبح كالبناء المهدم الاركان بعد أن كان قويا •• انه كنبي الشابي المجهول الذي توج بشوك الصخور •

انه مثل أورفيوس الذي ابتنى طريقه نحو الهاوية بما ينشده من أغنيات جميلة وما يعزفه من موسيقى عذبة راقية •

ومن هذا الاحساس بالزمن الضائع ••

ومن هذا الاحساس بالخيبة وعدم كفاية الغلة والحصاد نشأ حنين السياب الى ماضيه ، الى طفولته ، الى جيكور وبويب .

ولقد برع السياب في التعبير عن اللهفة الى الماضي وتكاد أن تكون قصائد هذه اللهفة من أروع ما أنشده الشعراء في بيان قسوة الزمن الذي يمر والعمر الذي يتقادم .

وهذه القصائد هي قمة الفن في آفاق شاعريته :

١- جيكور والمدينة ، ٢- العودة لجيكور ، ٣- النهر والموت ، ٤- مرحى غيلان ، ٥- أم البروم ، ٦- شباك وفيقه ، ٧- دار جدي ، ٨- أفياء جيكور ، ٩- جيكور شابت ، ١٠- سهر ، ١١- رحل النهار ، ١٢- منزل الاقنان ، ١٣- هرم المغنى ، ١٤- شناشيل ابنة الجلبي ، ١٥- ارم ذات العماد ، ١٦- جيكور واشجار المدينة ، ١٧- أحبيني ، ١٨- أم كلثوم والذكرى ، ١٩- كيف لم أحبك .

ومرارة التجربة هذه .. تجربة الحنين الى الماضي .. تبدو واضحة في نهايات عددٍ من قصائده الآنفة الذكر .. فقد قال في نهاية قصيدة هرم المغني يستجدي الرحمة :

هرم المغني فارحموه ..

ومثل هذه النهاية ما يلي :-

١ - نهاية قصيدة « رحل النهار »

رحل النهار

فلترحلي رحل النهار

٢ - ونهاية قصيدة « دار جدي »

أهكذا السنون تذهبُ ؟

أهكذا الحياة تنضبُ ؟

أحس أنني أذوب أتعبُ

أموت كالشجر .

٣ - ونهاية « جيكور والمدينة » :

وجيكور من دونها قام سور
وبوابة •• واحتوتها سكينه

٤ ـ ونهاية قصيدة « العودة الى جيكور »
جيكور نامي في ظلال السنين •

٥ ـ ونهاية قصيدة « شناشيل ابنة الجلبي » •
هواء كل أشواقي •• أباطيل
ونبت دونما ثمرٍ ولا وردِ •

وان معاني هذه النهايات تزداد وضوحا اذا نظر اليها وهي مرتبطة ارتباطا عضويا بكل القصيدة •

٥

وهذا الشاعر الذي انغمس في الاحداث وغناها بألمٍ ومرارة لم يستطع أن يصمد أمام القدر أخيرا الا في نفسيته المتعالية ، وايمانه القوي ، واخلاصه لفنه •

لقد أصبح طريح الفراش ••

شحب لونه ، ونحل جسمه وذاب عقله وضعف عظمه وأصبح تحت أغطيته بقية انسان •

مؤلم جدا •• ومرير جدا •• وشاق جدا أن تزور هذا الشاعر العظيم في داره ، أو في احدى غرف مستشفى الموانئ •

انه لا يتحدث الا عن الصحة ونعمتها على الاصحاء ولا يحلم الا بالموت والاموات من أقربائه وأحبائه ، ولا يوصي الا بغيلان وغيداء وآلاء •

طالت تجربة المرض الوبيل الذي عاناه السياب وأصبح لا يندمل جرح الا ويولد جرح آخر ••

عرف من الادوية أنواعها : ما يدهن به ، وما يحتسى ، وما يزرق تحت الجلد ، ولكثرتها وقلة جدواها ضعف حتى ايمانه بالعلم وبقدرة

الطب على محاربة الميكروب •

والتجأ الى طب الاعشاب ، وآمن بالخرافة والتعاويذ والرقى والشعوذة •

وتخلى عن السياب في محنته الاصدقاء والمريدون وتولى مهمة السعي من أجله المكلفون به شرعا ورفاق القرية وفي مقدمتهم الاستاذ محمد علي اسماعيل مدير ثانوية أبي الخصيب •

كان هذا المريض لم يغن للاكثرية من أعماقه ولم يموسق كبده ولم يقدم في قوافيه ماء عينيه لهم[1] •

ولقد تشكلت لجنة تطهير بعد ثورة ١٤ رمضان قررت فصل السياب من الوظيفة في مصلحة الموانىء العراقية ولكن فصله لم يطل فأعيد الى الخدمة وألغي أمر الفصل •

وقد اجتاز السياب في مرضه مراحل من السيء الى الاسوأ فكانت المرحلة الاخيرة حيث تخونه قدماه ويعجز عن السير فيسافر الى بيروت ويمكث في مصحاتها وتستنفد ماله ثم يعود بلا جدوى •

ويسافر مرة أخرى الى الغرب •• الى ايطاليا وفرنسا وانجلترا وينزل في مستشفيات مدينة الضباب ليعالجه نطس الاطباء ويتشوق من سرير مرضه الى أهله ووطنه وشبابه المحطم •

ويعود من الغرب الى آسيا •• الى العراق •• الى البصرة وهو كما كان سابقا فتزداد الوطأة ويضاف الى ألم ساقيه قرحة في المعدة وذات الجنب •

ويسافر بعد جهد جهيد الى الكويت وفي الكويت يجد من يحنو عليه وعلى شعره في شخص الاديب علي السبتي وقد شاء الله أن يكون هذا الرجل هو الساعي الى طبع ديوانه شناشيل ابنة الجلبي بعد أن رفضته دور النشر[2] •• وأن يتعهد ايصال الجنازة الى البصرة وأن يشرف على دفنه

---

(١) من حق التاريخ علينا ان نذكر أن مدير الموانيء وقتئذ رعى السياب وحدب عليه واستدعاه للخدمة في مصلحة الموانيء العراقية •

(٢) وسعى في طبع ديوان اقبال بعد وفاته •

في مقبرة الحسن البصري في قضاء الزبير •

وقد عبر السياب عن مرضه ومرحلة احتضاره وعن احساسه الحاد بالموت بالقصائد التالية :

١ـ أمام باب الله ، ٢ـ حنين في روما ، ٣ـ سهر ، ٤ـ الوصية ، ٥ـ لاني غريب ، ٦ـ احتراق ، ٧ـ مدينة السراب ، ٨ـ نبوءة ورؤيا ، ٩ـ رحل النهار ، ١٠ـ هدير البحر ، ١١ـ حامل الخرز الملون ، ١٢ـ سفر أيوب ، ١٣ـ منزل الاقنان ، ١٤ـ وصية من محتضر ، ١٥ـ الشاهدة ، ١٦ـ أسمعه يبكي ، ١٧ـ درم ، ١٨ـ قصيدة من درم ، ١٩ـ قالوا لايوب ، ٢٠ـ الليلة الاخيرة ، ٢١ـ القصيدة والعنقاء ، ٢٢ـ نداء الموت ، ٢٣ـ جيكور أمي ، ٢٤ـ يا غربة الروح ، ٢٥ـ أسير القراصنة ، ٢٦ـ في المستشفى ، ٢٧ـ نسيم من القبر ، ٢٨ـ في الليل ، ٢٩ـ في انتظار رسالة ، ٣٠ـ الباب تقرعه الرياح ، ٣١ـ ليالي السهاد ، ٣٢ـ خلا البيت ، ٣٣ـ أغنية بنات الجن ، ٣٤ـ اقبال والليل ، ٣٥ـ المعول الحجري ، ٣٦ـ حميد ، ٣٧ـ لوى مكنيس وغيرها •

تبدأ قصيدة « المعول الحجري » باحساسه بفقدان كل ما في الحياة حيث أن الموت يعنى أن الحياة تفقد أحد أبنائها أما هو فيفقد كل ما في الحياة حين يحفر المعول الحجري قبره :

رنين المعول الحجري في المرتج من نبضي
يدمر في خيالي صورة الارض
ويهدم برج بابل ، يقلع الابواب ، يخلع كل آجرة
ويحرق من جنائنها المعلقة •• الذي فيها
فلا ماء ، ولا ظل ، ولا زهرة
وينبذني طريدا عند كهفٍ ليس تحمي بابه صخره ••

وبعد أن يوضح رعب الليل في القبر مقارنا برعب الوحوش الكاسرة يشير الشاعر الى رأي أحد اطبائه حين كان في بيروت اذ شخص مرضه

بأنه شلل في الساقين سينمو حتى يصل دماغه فيقضي عليه ••• الى أن يقـول :

رنين المعول الحجري يزحف نحو أطرافي ••

ثم يفكر السياب بالشقي الذي يقرأ شعره بعد أعوام ليجد أن الشاعر كان أشقى منه ولكنه عاش حريصا على الحياة ويختم قصيدته ختاما مؤثرا مودعا أحباءه وأصدقاءه ••

فأين أبي وأمي ؟ أين جدي ؟ أين آبائي
لقد كتبوا أساميهم على الماء
ولست براغب حتى بخط اسمي على الماء
وداعا يا صحابي •• يا أحبائي
اذا ما شئتم •• أن تذكروني فاذكروني ذات قمراء
والا فهو محض اسم تبدد بين أسماء
وداعا يا أحبائي

وداعا يا أبا غيلان •• رحمك الله •• كنت حبيبا الى قلوبنا ، أثيرا الى نفوسنا ، أعطيتنا أكثر مما أخذته منا ، ومنحتنا من ذاتك اكثر مما منحناك ••

نم في قبرك قرير العين ••

نم في قبرك مستريح البال فلم تسترح في حياتك يوما ما •• تقاذفتك المحن وتعاورتك المصائب ، وتداولتك يد الحدثان •

* * *

وبعد •• فقد اقترح السياب من خلال تجاربه المريرة وندبه الجنائزي ـ كما قالوا ـ صورة مشرقة للحياة والمجتمع شأنه شأن كل أدباء الانسانية الـكبار •

وأضاء من خلال اضاءته لذاته جوانب حياة طبقة خاصة من الشعب العراقي •• هي طبقة الفلاحين التي عرف الكثير من أبنائها خيبة الحب ، ومرارة الهجرة من الريف الى المدينة ، واخفاقهم في العمل السياسي ••

وقد حاول السياب أن يحكم على شعره من خلال عناوين دواوينه فسماها : بأزهار ذابلة ، أساطير ، معبد غريق ، منزل أقنان .. شأنه شأن ابراهيم المازني الذي قال عن مقالاته : قبض الريح وحصاد الهشيم .

شاعرية الشباب

بناء القصيدة

١

قبل أن أتحدث عن قصيدة السياب من حيث البناء والاطار أود أن ألقي نظرة موجزة عن تطور بناء القصيدة العربية لنتبين صلة السياب بالتراث الشعري .

حين نقرأ الشعر الجاهلي والشعر المخضرم نجد القصيدة متعددة الأغراض ولكنها محكومة بنوعٍ من المنطق الداخلي الذي يجمع هذا التنوع في وحدة متماسكة .. ولنأخذ مثلا على ذلك شعر أبي ذؤيب الهذلي ..

ان مرثيته العينية لابنائه تنقسم الى أربعة أقسام .. في القسم الاول نظرة عامة مجملة للموت وفي الاقسام الاخرى ايضاح وتفسير وتحليل لذلك الاجمال .. وأمثلة : مصرع حمار الوحش ، والثور ذو القرنين المذلقين ، والفارس الشاكي السلاح .

وله قصيدة يائية مطلعها :

عرفت الديار كرقم الدواة   يزبرها الكاتب الحميري

بنيت هذه القصيدة بطريقة معاكسة لبناء المرثية حيث يتناول فيها أولا حادثة تغير حي كان مسكونا فعاد مثل الصحيفة التي انمحت ألفاظها ولم يبق منه الا عصي متناثرات وصخور الموقد السود والاوتاد المشعثة .

والحادثة الثانية موت صديقه « نشيبه » الذي كان يسر الصديق وينكي العدو ويخوض الحرب ويتسم بالقوة والعقل والفضيلة .

ويستنتج من هاتين الحادثتين بأن خير ما يعمله المرء أن يصبر على حدث النائبات وان يكون ذكي القلب حليما رزينا •

وله قصيدة أخرى مطلعها :

هل الدهر الا ليلة ونهارها   والا طلوع الشمس ثم غيارها

وهي تنقسم الى قسمين يفاضل الشاعر بينهما ويستبقي أحدهما دون الآخر ••

وهكذا نجد تنوع الاغراض محكوما بالتحليل أو الاستنتاج أ والمفاضلة وغيرهـا •

*

وفي العصر الاموي بقيت صورة القصيدة الجاهلية ولكنها أضاعت هذه الرابطة الداخلية واستبدلتها برابطة التتابع القصصي •• ولنأخذ قصيدة ذي الرمة مثلا لذلك •

تبدأ قصيدته بالوقوف على الاطلال وبكاء الدمن ثم اجتياز المهـامه والفيافي ووصف الراحلة وتشبيهها بالثور الوحشي أو حمار الوحش أو الظليم ثم يأتي المديح أو الهجاء •

فبائيته الطويلة التي مطلعها :

ما بال عينك منها الماء ينسكب   كأنه من كلىً مفريّةٍ سربُ

تبدأ بالوقوف على الاطلال وتذكر الحبيبة ثم يصف الرحلة ابتداء من قوله :

وا سوأتاه ثم يا ويلي ويا حربي   اني اخو الجسم فيه السقم والكرب

ثم ينتقل لتشبيه ناقته بالثور الوحشي :

أذاك أم نمش بالوشـي اكرعـه   مسفّع الخدّ ، غادٍ ، ناشط ، شببُ

ثم ينتقل لتشبيه الناقة بالظليم :

أذاك أم خاضب بالسي مرتعـه   أبـو ثلاثين ، أمسى وهـو منقلب

ومثل هذا البناء نجده في قصيدته العينية التي مطلعها :

أمن دمنة بين القلات وشارعٍ   تصابيت حتى ظلت العين تدمع

ويجيء العصر العباسي فيسخر أبو نؤاس من هذا البناء الذي أصبح تقليدا خاليا من روحية القصيدة الجاهلية •

وحين نصل الى أبي تمام نجد ان المقدمة الغزلية أصبحت ذات ارتباط من نوع آخر بما في القصيدة من مديح أو رثاء ••

ولو أخذنا مثلا قصيدته التي مطلعها :

أهن عوادي يوسف وصواحبه فعزما فقدما أدرك السؤل طالبه

نجد المقدمة تتضمن الاشارة الى يوسف ، والحديث عن الحزم ، والحديث عن أهوال الزمان والمفاناة بينها وبين الشاعر ، والحديث عن سرى الليل ، والحديث عن الحسام الهندواني ، وعن وجود النجح في السرى ••

وحين نقرأ المديح يتبين لنا أن معاني المقدمة كانت أشبه بعناوين أو ما يعرف في الصحافة [بالمانشيت] اذ استوفاها مفصلة في بناء شخصية الممدوح •

كانت اشارته في المقدمة الى يوسف تمهيدا لقوله في الممدوح :

جدير بأن يستحيي الله باديا به ثم يستحيي الندى ويراقبه

والحديث عن الحزم يقابله قول أبي تمام مادحا :

وذو يقظات مستمر مريرها اذا الخطب لاقاها اضمحلت نوائبه
وأين بوجه الحزم عنه وانما مرائي الامور المشكلات تجاربه

والحديث عن سرى الليل يقابله قوله مادحا :

فيا ايها الساري اسرِ غير محاذر جنان ظلام أو ردىً أنت هائبه
فقد بث عبدالله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقاربه

وهكذا يستمر الشاعر في بناء قصيدته •

*

وحين نأتي الى قصائد المائة السابعة وما بعدها في شعر صفي‌الدين الحلي وأضرابه نجد القصيدة وقد أصبحت سلسلة من الاغراض المتابعة التي تفتقر الى الرابطة المنطقية التي كانت في الشعر الجاهلي ويصبح تعدد الاغراض

تقليدا لا يدري الشاعر ما يراد به ••

والشيء الجديد في هذه الفترة أن اطارات الشعر لم تعد ذات صيغة واحدة هي القصيدة الموزونة المقفاة •• وانما تعددت الصيغ فمنه القصيد ومنـه الموشح الذي يعتمـد تنوع القـوافي والاوزان ، ومنـه المسمطات والمخمسات ، ومنه الروضة وهي صيغة شعرية تكون من تسعة وعشرين نشيدا يستوفى الشاعر في قوافيها كل حروف الالفباء وقد تكون أبياتها تبدأ بحرف وتنتهي به •

والسياب في بناء قصيدته ينحو نحو الشعر الجاهلي في وجود رابطة منطقية داخليـة توحد وتماسك أجزاء قصيدته ، ومن حيث الاطـار يعتبر استمرارا للمحاولات المتكررة في تنمية الصيغ الشعرية وزيادة أنماطها •

٢

ان قصائد السياب في أزهار ذابلة وأساطير تتداعى فيها المعانى تداعيا حرا ولكن قصائده في أنشودة المطر وما بعدها تتحكم في بنائها وتصميمها صيغ منطقية متعددة بحيث تبدو وكأنها عمل فكري عقلي أكثر من كونها قطعة فنية محسوسة •• ان الوعي فيها أشد بروزا من الجانب اللا واعي •

ففي بعض قصائده تصميم مأخوذ من أسلوب الحوار والمناقشة ويبدو واضحا في قصيدة [يوم الطغاة الاخير] حيث قسمت الى ثلاثة أقسـام : الاول : يتناول توديع مجاهد الى حيث ينتظر الشمس وراء القضبان والثاني : حين تحرر هذا السجين وكان تحرره جزءاً من تحرر وطنه ، والثالث : بداية البناء وتشييد المستقبل ••

وتتوفر في القصيدة وحـدة زمنية وتسلسل مع وجود سبب ونتيجة يعطيها حبكة جيدة •

وكل قسم من أقسام القصيدة يتكون تقريبا من حوار بين رجل وامرأة مع تعقيب عليه •

وفي بعض قصائده يسود نوع من التصميم يتكون من مقاطع يتألف كل

منها من رمز وتفسيره •• ومثاله قصيدة في المغرب العربي ••

المقطع الاول منها يتكون من رمز هو وجود صخرة عليها نقش عربي فسره الشاعر بكونه يمثل واقع العروبة •

والمقطع الثاني يتكون من رمز هو وجود قبرين لحفيد خانع وجد ثوري فسره الشاعر بالمقارنة بين انسان ذي قار وانسان يافا اللاجيء المشرد •

والرمز في المقطع الثالث : غارة من جراد على قرية فسره الشاعر بغزوات التتار والمستعمرين الغربيين •

والرمز في المقطع الرابع اشعاع دمٍ من الصخرة فسره الشاعر بالوعي العربي الجديد •

وتنتهي القصيدة بحكم أخير هو تجسد معنى الالوهة في الانسان العربي ••

وهب محمد والهه العربي والانصار
ان الهنا فينا •

وهذا القول مما يؤاخذ عليه السياب الى جانب بعض التعابير المماثلة في أول القصيدة •

وبعض قصائده تنداح على شكل دوائر تكبر شيئا فشيئا مثل الموج حين يلقى حجر في ماء ••• وتمثل هذا التصميم الموجي قصائد الاسلحة والاطفال ، والمومس العمياء ، وانشودة المطر •

ففي أنشودة المطر تشمل الدائرة الاولى الحبيبين •• وتشمل الدائرة الثانية أفقا أوسع هو الجو الممطر في الكويت ، وتشمل الدائرة الثالثة الكويت والعراق حيث يتحدث عن الاوضاع الاجتماعية في وطنه •• أما الدائرة الرابعة فهي أوسع من العراق حيث تتناول مسألة حرية الشعوب والتخلص من الاستعمار •

وقوة التصميم وتماسكه تبدو في الانتقال المتدرج من الفرد الى الوطن والقومية والانسانية •• وهي تماما عكس الطريقة الموروثة وان اتخذت نفس الشكل في الظاهر •

ابتدأت القصيدة بالغزل ثم تخلصت منه الى موضوع السياسة والوطنية والنضال الجماهيري •• وكان الشاعر القديم يبدأ بالغزل باعتباره أوسع دائرة وأعم عاطفة ثم تتقلص الدائرة رويدا رويدا حتى تصبح ضيقة لا تشمل غير الممدوح •

وقد استعمل السياب تصميم التناظر والتوازي أكثر من أي تصميم آخر •• وهو أن يعمد الى رسم حركتين أو صورتين أو شخصيتين يناظر أحدهما الآخر ويوازيه ويتوخى السياب من هذه الموازاة المفاضلة أو بيان التطور أو استحالة العودة للماضي أو أي معنى آخر •

ومن أبرز نماذج هذا التصميم العودة الى جيكور ، النهر والموت ، أغنية في شهر آب ، المخبر ، قارىء الدم ، جيكور والمدينة ، المسيح بعد الصلب •

ففي قصيدة العودة الى جيكور يقارن بين حركتين •• الاولى حركة الهجرة من الريف الى المدينة ، والثانية حركة العودة من المدينة الى الريف •• الاولى حدثت في الماضي ، والثانية تحدث في الحاضر والشاعر يقصد من هذه المقارنة استحالة العودة •• وأن جيكور ـ الامس •• ستظل نائمة في ظلام السنين •

وقصيدة النهر والموت تبين موقفين •• الموقف الاول يمثل الشاعر صغيرا أمام بويب يسمع أصوات قطرات الماء ويغريه النهر بأسراره فيرغب لو يموت لان الموت عالم غريب يفتن الصغار •

والموقف الثاني يأتي بعد عشرين عاما يبدو فيه الشاعر أمام نهر الزمن •• أمام بويب جديد ومن نوع آخر •• وهو لا يسمع بأذنيه في هذا الموقف ولكن بضميره ، ولا يسمع قطرات ماء ناضحة ولكن يسمع أجراس موتى وأنات معذبين فيرغب أن يموت ويغرق لا في قرار النهر ولكن في قرار الدم وليس لان الموت عالم فاتن ولكن من أجل أن يحمل العبء مع البشر ولان موته انتصار ••

لقد توخى الشاعر من هذه الموازاة أن يبين تطور الذات ونمو الادراك واتساع الافق ..

لقد أبدع بدر شاكر السياب في تصاميم قصائده ولم يكن في ابداعه بعيدا عن تراثه .. انما يمثل بناء القصيدة لديه تخطي التقليد الذي درج عليه شعراء الفترة المظلمة والعودة الى النماذج الاولى ..

٣

ورث السياب من القوالب الشعرية المتداولة .. أو الاطارات .. قالب : القصيدة ، وقالب الموشح ، وقالب : المسمطات ، وقالب الروضة ، وقالب القصة ، وقالب : اللزوميات ، وقالب : الرباعية .

وقد اطرح السياب من هذه القوالب : قالب المسمطات : لان المسمطة في حقيقة أمرها عملية نفخ قصائد الآخرين والسياب غني بشاعريته وطاقاته عن كل هذا .

واطرح قالب الروضة واللزوميات لانهما نوعان يمثلان هندسة عالية جدا والشاعر المعاصر يريد أن يتحلل من القيود لا أن يلجأ الى ما هو أشد تقييدا .

ولم ينظم السياب في باب الرباعية شيئا .. لان الرباعية شعر يعتمد على الحكمة والوعظ وجوامع الكلم ولم يكن السياب ينحو هذا المنحى وانما اهتم بالتصوير والمشاعر الفياضة وايجاد معادل موضوعي ـ كما سنبين فيما بعد ـ والرباعية تعجز عن القيام بهذه المهمة .

وفيما عدا ذلك نظم السياب في أبواب القصيد ، والموشح ، والقصة وأضاف اليها الشعر الحر ، والمزدوجة ، والملحمة .

أما القصيدة الموزونة المقفاة فهي أول الانواع الشعرية التي عالجها وتبدو في بواكير انتاجه في [أزهار ذابلة] .. وفي قصائده التي نشرت بعد وفاته في ديوان [اقبال] وفي قصائد المناسبات السياسية التي لم تجمع في ديوان حتى اليوم .

فمن قصائده ضلال الحب وهي من مجزوء الكامل :

والعصر مخضوب البنان وأزاهر الحقل الحسان

ويوم السفر وهي من المجتث :

من لقلبي على القدر قضى الامر بالسفر

وهمسك الهاني من الطويل :

خيالك أضحى لابسا من فؤاديا رداء موشى بالرؤى البيض حاليا

وتحية القرية من الخفيف :

شفني من ربوعك النضرات فتنة تستعيدها نظراتي

وذكريات من الريف من الطويل :

شعاع من الماضي منير بخاطري وذكرى لما ولى تعطر حاضري

وبين الروح والجسد من الكامل :

أهوى مفاتن جسمك المستسلم وهوى لذائذه مزجن بمأثم

وشاعر من السريع :

كفن بالاوراق آهاته وارتد يرثيها بآياته

وأغنية السلوان من الهزج :

تباعدنا فلا حزن على ما ضاع من قرب

ومن أجمل قصائده [في أخريات الربيع] وهي من الخفيف يقول فيهـا :

يا ضياء الحقول ، يا غنوة الفلاح في الساجيات من اسحاره
أقبلي فالربيع ما زال في الوادي فبلي صداك قبل احتضاره
لا تصيب العيون الا بقاياه ، وغير الشرود من آثاره :
دوحة عند جدول تنفض الافياء عنها وترتمي في قراره
وعلى كل ملعب زهرة غنياء فرت اليه من أياره
... الخ .

[أزهار وأساطير ص ١٤٦] .

وحين تفتحت شاعرية السياب أكثر من ذي قبل لم تعد القصيدة قالبه أو اطاره المفضل وأصبحت الموشحات هي اللون السائد ..

وموشحات السياب على غرار الموشحات المهجرية لا تعتمد على خرجة وأغصان ولازمة وانما هي قصيدة ذات مقاطع .. فبعض موشحاته تنهج سبيل القوافي الثنائية .. كموشحة نهر العذارى وهي مثل قصيدة النهر المتجمد لميخائيل نعيمة ومن وحيها ..

يا نهر لولا منحناك وما يشابك من فروع
ما كانت البسمات ، في عيني تطفأ بالشموع

* * *

حجبت ، بالشأو البعيد تسد بابيه الظلال
وجها تلاقى في محياه الوداعة والجمال
... الخ .

* * *

وموشحة [اقداح وأحلام] خماسية القافية ، وموشحة أهواء رباعية القافية ، وموشحة رئة تتمزق رباعية القافية ، وموشحة هوى واحد ، ثلاثية القافية ..

ومن هذا النوع : وداع ، لا تزيديه لوعة ، عينان زرقاوان ، سجين ، ستار ، ليالي الخريف ، حسناء القصر ... الخ . [في ديوانيه أزهار ذابلة وأساطير] .

ومن أجمل موشحاته .. موشحة ديوان شعره بقسميها .. القسم الاول وهي مرفوعة الى مستعيرات ديوانه والقسم الثاني وهي في مشاعره حين أعيدت اليه المخطوطة ..

قال السياب :

ديوان شعر ملؤه غزل — بين العذارى بات ينتقل
أنفاسي الحرى تهيم على — صفحاته والحب والامل

وستلتقي أنفاسهن بها وترق في جنباته القبل
ديوان شعره ملؤه غزل بين العذارى بات ينتقل

* * *

واذا رأين النوح والشكوى كل تقول : من التي يهوى ؟
وسترتمي نظراتهن على الصفحات بين سطوره نشوى
ولسوف ترتج النهود أسىً ويثيرها ما فيه من نجوى
ولربما قرأته فاتنتي فمضت تقول : من التي يهوى ؟

... الخ .

* * *

وفي المرحلة الثالثة نظم السياب في القصة والشعر والمزدوجة والملاحم وهذه الانواع لم تولد في فترات زمنية متميزة وانما هي متداخلة بعضها مع البعض الآخر .

أما القصة فأهم نماذجها في شعره قصتان ناضجتان من الناحية القصصية اضافة الى الناحية الشعرية هما قصة : حفار القبور وقصة المومس العمياء .

وأما المزدوجات فأعني بها تلك القصائد التي يتزاوج فيها الشعر الحر مع الشعر العمودي على شكل مقاطع متعاقبة .. ومن أمثلتها قصيدة [بورسعيد] ..

وقد بدأ السياب بنظم ديوان شعر توخى أن يكون جميعه منظوما بهذه الطريقة هو ديوان [اقبال والليل] .. ولكن الحمام لم يمهله فلم ينظم منه سوى قصيدتين أو أكثر وضعت ضمن المجموعة الاخيرة التي طبعت بعد وفاته .

وأما الشعر الحر وتعريفه فسنتحدث عنه في الفصول القادمة من الكتاب ..

وتمثل الملحمة أعلى مستوى شعري بلغه السياب .. ونموذجه ملحمة [من رؤيا فوكاي] وسنأتي على تحليلها في الفصول القادمة ..

الأسلوب

١

للسياب أسلوبه في نسيج الشعر يتميز بألفاظه ، وطريقة تكوين الجمل والعبارات ، وفي تضمين المرددات الشعبية ، واستعمال الوزن الحر ثم محاولة ايجاد المعادل الموضوعي •• وسنحرص في هـذا الفصل على ايضاح هـذه النقاط •

فلنقرأ أولا المقطع التالي من قصيدة غريب على الخليج :

ألريح تلهث بالهجيرة كالجثام على الاصيل
وعلى القلوع تظل تطوى أو تنشر للرحيل
زحم الخليج بهن مكتدحون جوابو بحار
من كل حاف نصف عاري •
وعلى الرمال ، على الخليج
جلس الغريب يسرح البصر المحير في الخليج
ويهد أعمدة الضياء بما يصعد من نشيج
أعلى من العباب يهدر رغوه ومن الضجيج
صوت تفجر في قرارة نفسي الثكلى : عراق ،

كالمد يصعد ، كالسحابة ، كالدموع الى العيون .
ألريح تصرخ بي : عراق
والموج يعول بي : عراق ، عراق ، ليس سوى عراق
...   .

الى أن يقول :

وهي النخيل اخاف منه اذا ادلهم مع الغروب
فاكتظ بالاشباح تخطف كل طفل لا يؤوب
من الدروب
وهي المفلية العجوز وماتوشوش عن حزام
وكيف شق القبر عنه أمام عفراء الجميلة
فاحتازها .. الا جديله .
...   .

ثم يقول عن العراق :

غنيت تربتك الحبيبة
وحملتها فأنا المسيح يجر في المنفى صليبه
فسمعت وقع خطى الجياع تسير ، تدمى من عثار
فتذر في عيني منك ومن مناسمها غبار
ما زلت أضرب ، مترب القدمين ، أشعث ، في الدروب
تحت الشموس الاجنبية

الى أن يقول :

بين احتقار وانتهار وازورار أو خطيه
والموت أهون من خطيه
من ذلك الاشفاق تعصره العيون الاجنبيه
قطرات ماء معدنية .
... الخ .

يلاحظ في هذه المختارات .. أنه أكثر من استعمال الالفاظ استعمالا مجازيا وهذه أول صفة من صفات اللفظة في نسيج الشعر لديه .. فقد استعمل اللهاث للرياح ، والحيرة للبصر ، والعويل للموج .. وجعل للضياء أعمدة وغيرها .. ولو رجعنا الى قصيدة أخرى لوجدنا المجازات تزدحم ازدحاما كثيفا جدا .

وفي هذه المختارات .. نجد الالفاظ المستمدة من مواد الطبيعة البصرية كثيرة .. كالنخيل ، والقلوع ، والمد والجزر ، والخليج ، والسفائن وغيرها مما هو وارد في القصيدة ككل وفي غيرها من القصائد كأنشودة المطر وقصائده الجيكورية وهذه صفة ثانية في لفظه .

ونقرأ المطلع فنجد فيه لفظة [الجثام] وهي من الكلمات القديمة ويندر أن يستعملها الشعراء المحدثون ولكن السياب لا يتعفف عن استعمالها ويجيد في هذا الاستعمال ومن عادته أن يلجأ الى القدماء ينتقي من بين الفاظهم ألفاظاله .. مثل الكلى المفرية ، والواد وسواهما .

وفي المختارات المتقدمة ترد لفظة (خطية) وهي لفظة عامية تستعمل للاشفاق استلها السياب من اللغة الدارجة وليست هي الوحيدة في شعره وانما هو جريء في لجوئه للعامية يأخذ بعض الفاظها أو صيغها المتداولة فقد استعمل (حاش) بمعنى اقتطف واستعمل (خض واختض) و (انخطف) و (وشناشيل) وغيرها .

ونلاحظ في المقاطع الشعرية أنه ذو احساس حاد بالصوت في معنى الكلمة حينا ، وفي لفظها حينا آخر .. فهو يسمع لهاث الريح ، ونشيج الخليج ، وهدير العباب ، وعويل الموج ، ووشوشة العجوز وغيرها .. ومثل كلمة الوشوشة كلمات عديدة في شعر السياب يستعملها أحيانا خلاف مدلولها اللغوي حبا بما فيها من نغم عذب كالوهوهة والقفقفة والمشاش والهسهسة وسواها .

وفي المختارات المتقدمة اشارة الى المسيح والصليب والمنفى وغيرها وهي صفة أخرى في ألفاظ السياب .. حيث ترفده الديانة المسيحية بكثير من

مصطلحاتها وقد فاضت هذه المصطلحات حتى عدت عيبا عليه وقيل انه تجاهل معتقده ..

وأخيرا قيل عن السياب انه جريء في اشتقاق الصيغ فهو لا يتورع أن يستعمل كوخة بدل الكوخ ، والدفل بدل الدفلى ، والتقيتك فعلا متعديا وهو غير متعد .. انسياقا وراء الوزن حينا أو القافية حينا آخر[1] .

٢

لكل أديب أو شاعر جملة أساسية يكثر ترددها في كتاباته فبعضهم يكثر من استعمال جملة المبتدأ والخبر ، وبعضهم يكثر من استعمال ان واسمها وخبرها أو كان واسمها وخبرها ، أو جملة المفعول المطلق والعطف كما هو معروف عن الدكتور طه حسين .. والجملة الأساسية في كتابات السياب هي جملة المشبه والمشبه به سواء كان التشبيه بالكاف وكأن أو بأي صيغة أخرى يفهم منها نفس المعنى .

والتشبيه يؤدي خدمات جليلة في شاعرية السياب فهو يساهم في تنمية الجمل واطالة التعبير .. كقوله :

الليل يطبق مرة أخرى فتشربه المدنيه
والعابرون الى القرارة .. مثل أغنية حزينه
وتفتحت كأزاهر الدفلى ، مصابيح الطريق
كعيون ميدوزا تحجر كل قلب بالضغينه
وكأنها نذر تبشر أهل بابل بالحريق

ففي هذا المقطع ترد أربعة تشابيه (مثل اغنية ... كأزاهر الدفلى ... كعيون ميدوزا ... كأنها نذر ...) .. وفي المقطع الذي يليه يساهم التشبيه في تتابع الجمل ولكنه تشبيه لا يعتمد على الكاف وكأن ومثل بل يعتمد طريقة التساؤل وتكرار حرف الجر (من) :

---

(١) راجع دراسة الدكتور ابراهيم السامرائي لالفاظ السياب في كتاب (لغة الشعر بين جيلين) وهي دراسة قيمه .

من أي غاب جاء هذا الليل ؟ من أي الكهوف ؟
من أي وجر للذئاب ؟
من أي عش في المقابر دف أسفع كالغراب ؟

والتشبيه يساهم في تكوين أجمل الصور داخل قصيدة السياب ومن ذلك مثلا :

(١) والساعدين الابيضين ، كما تنوّر في السهول
تفاحة عذراء •••

✻

(٢) أو ساعدين كفرختين من الحمائم في النقاء •

✻

(٣) وتحسسته كأن باصرة تهم ولا تدور
في الراحتين وفي الأنامل وهي تعثر في الطيور

✻

(٤) وكأن وسوسة السنابل والجداول والنخيل
أصداء موتى يهمسون « رآه يسرق » في الحقول
حيث البيادر تفصد الموتى فتزداد اتساعا ••

✻

(٥) •••• يعود من سهر يئن ومن عياء
كالغيمة اعتصرت قواها في القفار ، وترتجيها
عبر التلال قوى تجوع – لكي ينام الى المساء :

[المومس العمياء ••]

ومثل هذا ما ورد في بداية حفار القبور :
ضوء الأصيل يغيم ، كالحلم الكئيب على القبور
واه كما ابتسم اليتامى أو كما بهتت شموع

في غيهب الذكرى يهوم ظلهن على دموع
والمدرج النائي تهب عليه أسراب الطيور
كالعاصفات السود ، كالاشباح في بيت قديم
برزت لترعب ساكنيه .

والتشبيه يساهم مساهمة فعالة في بناء قصائد كاملة منذ بدايتها الى نهايتها .. ومثاله قصيدة (مرحى غيلان) فهي لو جردت من التشبيه لم يبق منها سوى لفظة (بابا) لا غير ..

يبدأ القصيدة بمقطع يعتمد على التشبيه فيقول :

ـ « بابا .. بابا »
ينساب صوتك في الظلام الي كالمطر الغضير
ينساب من خلل النعاس وأنت ترقد في السرير
من أي رؤيا جاء ؟ أي سماوة ؟ أي انطلاق
وأظل أسبح في رشاش منه ، أسبح في عبير
... الخ .

والمقطع الثاني :

« بابا .. » كأن يد المسيح
فيها ، كأن جماجم الموتى تبرعم في الضريح
... الخ .

والمقطع الثالث :

بابا ... بابا
أنا في قرار « بويب » أرقد ، في فراش من رماله
من طينه المعطور ، والدم في عروقي من زلاله
... الخ .

والمقطع الرابع :

« بابا .. بابا »

يا سلم الأنغام ، أية رغبة هي في قرارك ..؟

... الخ .

والمقطع الخامس :

« بابا .. بابا »

جيكور من شفتيك تولد ، من دمائك ، في دمائي

فتحيل أعمدة المدينة

أشجار توت في الربيع ..

... الخ .

وهكذا تنتهي القصيدة فنجدها مدينة في فصال نسيجها الشعري الى عملية التشبيه التي تكرر نفسها .. بين صوت غيلان والمطر ، وصوته ويد المسيح وصوته وبويب ، وصوته وسلم النغم ، وصوته وجيكور وهكذا .. والتشبيه في شعر بدر كثيرا ما يتحول الى موازاة جمالية رائعة تقع داخل الفقرة أو المقطع أو القصيدة ككل .. ومثاله مقدمة قصيدة أم البروم حيث يتحول التشبيه من كونه مشبّهاً ومشبها به الى خطين متوازيين متناظرين .. حيث يقول موازنا بين رحيل قوافل الاحياء ونبش القبور :

رأيت قوافل الاحياء ترحل عن مغانيها

تطاردها ، وراء الليل ، أشباح الفوانيس

سمعت نشيج باكيها ،

وصرخة طفلها ، وثغاء صاد من مواشيها ،

وفي وهج الظهيرة صارخا [يا حادي العيس]

على ألم مغنيها .

ولكن لم أر الاموات يطردهن حفار

من الحفر العتاق وينزع الاكفان عنها أو يغطيها

ولكن لم أر الاموات ، قبل ثراك ، يجليها

مجون مدينة ، وغناء راقصة ، وخمار

٣

وقد تضمن النسيج الشعري في قصيدة السياب مرددات شعبية وافرة فمن جملة ما تضمنه أمثالا وحكما وايمانا وأدعية منقولة عن الامثال والحكم والأدعية والأيمان العراقية بأمانة أو بتغيير وتحوير بسيط •

وتضمن شعره صورا واشارات لأدوات وآلات مما هو من صلب الفلكلور العراقي مثل : التنور ، والوهار [وهو قفص من عيدان الشجر مخروطي الشكل يستعمل لصيد السمك] ، والعباءة ، والفانوس والدرابك [طبول يدوية] والبلم [الزورق] ومفزع البستان •

ومما تضمنه شعر السياب من المرددات الشعبية : أساطير ، وحكايات ، وأغنيات ، وأمكنة ، ونماذج بشرية ، اضافة الى تأثره بالعقائد الدينية وطقوسها الشعبية ••

أما الأسطورة فهي ظاهرة عامة في الشعر المعاصر ودعاة الاسطورة يبررون صنيعهم بالرمزية والبحث عن ألفاظ طرية وتعابير بكر لم يلوثها الاستعمال وأما مناوئوها فيرون الأساطير وكل الميثولوجيا في الأدب انما هي جانبه المتخلف •• وقد كان السياب من الفريق الأول وقد ألجأته الحاجة التكرية في عهد قاسم الى الاكثار منها على حد قوله في مقابلة معه نشرتها جريدة الجماهير البغدادية ٢٦-١٠-١٩٦٣ وأساطير السياب في حقيقة أمرها ليست من الفولكلور العراقي ولا العربي ولكنها فولكلور مستورد وقد حكم كثير من النقاد بفشل عملية الاستيراد لديه •

ومن الأساطير التي استعملها السياب : عشتار ، وتموز ، وبعل ، وسيزيف ، ونرسيس ، وميدوزا ، وكونغاي ، والبابيون ، وهرقل ، وغنيمد ، وأولمب ، وأتيس ، والعازر ، وزيوس ، وأدونيس ، وسربروس، وأوديب ، وجوكست ، وأفروديت ، وهيلين ، وأبولو ، وأورفيوس ، وايكار ، وعوليس ، وبرسفون ، وأخيل ، والسيرين •• والسندباد وشهرزاد ، وقمر الزمان •

واكثر هذه الاساطير استعمالا تموز وعشتار ويقـول جبرا ابراهيـم جبرا انه في اسطورة تموز بعد عام ١٩٥٤ تلتقي خطوط شعره كلها وتتفرع عنها وهي الينبوع الذي يستقي منه معظم صوره الشعرية ٠

استعمل اسطورة تموز في قصائده :

[مرحى غيلان ، مرثية الآلهة ، من رؤيا فوكاي ، جيكور والمدينة ، رؤيا عام ٩٥٦ ، سربروس في بابل ، مدينة بلا مطر ، حدائق وفيقـة ، سفر أيوب ، ليالي السهاد] ٠

ومن أنجح استعمالاته الاسطورية [قصيدة مدينة بـلا مطر] ٠٠ وهي تبدأ بالتعبير عن شدة الحر في بابل والدعاء الى تموز أن يصـحو ليرعاها ٠٠ ثم التعبير عن مجامر الفخار الخاوية في غرفات عشتار يعقبه دعاء يعبر عن الجفاف والظمأ ٠

ثم يصف الشاعر مسيرة لصغار بابل يحملون سلال صبار وفاكهة من الحجر ليقدموها قربانا لعشتار مع دعاء لها بأن ترعى الصغار وتحنو عليهم ٠

وختام القصيدة يتضمن استجابة ذلك الدعاء وهطول المطـر حيث يقـول :

وفي أبد من الاصغاء بين الرعد والرعد
سمعنا لا حفيف النخل تحت العارض السحّاح
أو ما وشوشته الريح حيث ابتلت الادواح
ولكن خفقة الاقدام والايدى ،
وكركرة ، وآه صغيرة قبضت بيمناها
على قمر يرفرف ، كالفراشة أو على نجمه
على هبة من الغيمة
على رعشات ماء ، قطرة همست بها نسمة
لتعلم ان بابل سوف تغسل من خطاياها ٠

***

وقد استغل السياب قسما من الحكايات الشعبية عن طريـق الاشارة

اليها أو الاقتباس منها أو تلخيصها او اعادة عرضها عرضا يتناسب مع مراميه •• ومن هذه الحكايات ما يلي :

قصة عروة وعفراء ، وقصة درب الصد مارد ، وقصة مدينة النحاس ، وقصة آدم وحواء ، ويأجوج ومأجوج ، وأيوب ، ويوسف وزليخا ، وطوفان نوح ، وقيس وليلى ، والسندباد وبيضة الرخ ، وقابيل وهابيل ، وعنتر وعبله ، وارم ذات العماد ، وثمود والصخرة •

واكثر هذه القصص ورودا في شعر السياب قصة قابيل وهابيل وقد استعملت في القصائد التالية :

المخبر ، مرثية الآلهة ، من رؤيا فوكاي ، قافلة الضياع ، جميلة بوحيرد ، قاريء الدم ، مدينة السندباد ، المومس العمياء ، حفار القبور ، يا ليالي • ومن أنجح القصائد التي استغلت الحكاية الشعبية قصيدة [ارم ذات العماد] •

والقصة عند المسلمين ان شداد بن عاد بنى جنه لينافس بها جنة الله هي ارم وحين هلك قوم عاد اختفت ارم وظلت تطوف وهي مستورة في الأرض لا يراها انسان الا مرة واحدة في كل أربعين عاما وسعيد من انفتح له بابها •

اختار السياب راوية لهذه القصة صيادا من الجنوب هو جد أبيه الذي تحدث عن أيام صباه بأنه رأى جنة عاد الضائعة ثم اختفت وظل يبحث عنها ليراها فلا يجدها •• وخلال حديث هذا الراوية وضع السياب حكايات أخرى عن عنتره بن شداد وعن السندباد وبيضة الرخ ويلاحظ أن زمن هذه الحكايات متسلسل •• وقد نجح السياب فيها أن يعبر عن حنينه الى ماضيه كما أنه ارتفع في هذا التعبير الى مستوى حنين الانسانية المعذبة الى ماضيها الجميل السعيد •

وقد تكررت هذه الحكاية في قصيدة أخرى للسياب فأصبحت جنة عاد [شناشيل ابنة الجلبي] فهو كجد أبيه رأى الشناشيل مرة وأسعدته الرؤية

وظل طوال عمره يتطلع كلما أمطرت السماء فقد يأتلق الشناشيل مرة أخرى .

***

وقد استغل السياب الاغنية في نسيج شعره .. ومن الأغاني التي أشار لها أو اقتبس منها الاغنيات التالية :

أغنية نوار : وهي أغنية تهنئة بالعرس صاغها السياب بلغته الخاصة في قصيدة « عرس في القرية » ولعلها في الأصل مأخوذة من الدبكة المعروفة « لاحك خير ومستاهلها » .

أغنية سليمة من الأغاني الشعبية المعروفة وردت في قصيدة المومس العمياء .

وأغنية نجمة الصباح وردت مترجمة الى الفصحى في قصيدة ليالي السهاد .

وأغنية الأطفال اذا أمطرت السماء وردت في قصيدة شناشيل ابنة الجلبي .

أغنية [اقول وقد ناحت بقربي حمامة] اشار اليها في قصيدة اقبال والليل .

أغنية [يا حادي العيس] ورد ذكرها في قصيدة ام البروم .

أغنية [سلم علي بطرف عينه وحاجبه] استفاد منها في قصيدة هرم المغني .

أغنية الخام وزنبيل التراب استغلها الشاعر في قصيدة سفر أيوب .

يضاف لكل هذا أن السياب نظم قصيدة حول أغنية قديمة ، وعن أم كلثوم والذكرى ، وسلوى ، وليالي الخريف .

***

ولبعض الأماكن صفة فولكلورية وكان السياب ذا نظرة فولكلورية عميقة في وقوفه بمثل هذه الأمكنة وتخليدها في روائع شعره .. ومن هذه الأماكن :

القرية ـ وخاصة جيكور مسقط رأسه وهي من قرى أبي الخصيب الواقعة مقابل خرمشهر من مدن ايران •

والمقهى ـ ثم المئذنة والقبة ، وحبوب الماء ، والشريعة [وهي مكان غسل الأواني واستقاء الماء في الريف] والسوق القديم ، والمبغى ، والشناشيل [وهو شرفة خشبية مطلة على الشارع تقع في الطابق الثاني من المنازل المبنية على الطريقة القديمة] والكوت [وهو الدار الكبيرة التي تضم أكثر من جيلين لأسرة واحدة وهو أشبه بقلاع الاقطاعيين] وقد أطلق عليه السياب اسم منزل الأقنان ، ثم المقبرة •

وتكاد أن تكون قصائده في هذه الأمكنة من عيون شعره التي رفعت شأنه وأعلت ذكره وبوأته مركزه المرموق في الفن ومنها : ام البروم ، وفي المغرب العربي ، والمومس العمياء ، وشناشيل ابنة الجلبي ، ودار جدي ، ومنزل الأقنان •

***

ومما حفل به شعر السياب عنايته بتصوير النماذج البشرية الشعبية ومن هذه النماذج :

المفلية : والمخبر ، وحفار القبور ، والمومس ، وبياع طيور الخضيري ، والناطور [حارس البساتين] ، وأبو عتيق للبيع ، وفتاح فال [العراف] وسواها •

ولا ريب أن ملحمة « المومس العمياء » أهم آثاره التي تناولت الشخصية الفولكلورية •• وفيها لوحة ممتعة جيدة لبياع الخضيري •

ومن القصائد التي تأثر في بنائها بالعقائد الدينية والطقوس قصيدة [خطاب الى يزيد] وهي تصوير لواقعة الطف في كربلاء ، و [وصية محتضر] وهي من مناسك المسلمين و [بنات الجن] و [امام باب الله] تأثر بها ببعض الأدعية وخطب أئمة المساجد •

٤

والأوزان القوافي جزء هام من نسيج الشعر •• وأوزان السياب وقوافيه في مرحلة القصيد ومرحلة الموشح ليس فيها ما يستحق التنويه فلم يخرج على السنن المألوفة •• وقد سبق ان عددنا بعض الأوزان الشعرية والقوافي التي استعملها •• ونود أن ننوه في هذه الفقرة بالوزن في قصائده الحرة •

الشعر الحر نوع من الانواع الشعرية المستحدثة وتعريفه بنماذجه أفضل من أي تحديد نظري له •

الشعر الحر هو هذا الذي نظمه السياب في دواوينه أساطير وأنشودة المطر والمعبد الغريق ومنزل الاقنان وشناشيل ابنة الجلبي واقبال •

الشعر الحر هو هذا الذي نظمه نزار قباني في انتاجه الاخير في قصائد من نزار قباني وفي ديوان حبيبتي •

الشعر الحر هو هذا الذي نظمته نازك الملائكة في شظايا ورماد وقرارة الموجة •

الشعر الحر هو هذا الذي نظمه صلاح عبدالصبور في ديوانه الناس في بلادي ، واقول لكم ••

الشعر الحر هو هذا الذي نظمه محي‌الدين فارس ، وجيلى عبدالرحمن وعبدالوهاب البياتي ، وسعدي يوسف وغيرهم •

وحين نأخذ نموذجا من هذا الشعر ونحاكمه من الوجهة العروضية نجده موزونا مع وجود فارق بين الوزن في القصيد والوزن في الشعر الحر •

قالت نازك الملائكة :

الليل ممتد السكون الى المدى
لا شيء يقطعه سوى صوت بليد
لحمامة حيرى وكلب ينبح النجم البعيد

والساعة البلهاء تلتهم الغدا
وهناك في بعض الجهات
مر القطار
وخبا بعيداً في السكون
خلف التلال النائيات
... الخ . (شظايا ورماد)

يلاحظ في هذه القطعة أن السطر الاول منها يتكون من ثلاث تفاعيل من تفاعيل البحر الكامل (متفاعلن) والسطر الثاني ثلاث تفاعيل أيضا والسطر الثالث أربع تفاعيل ، والخامس ثلاث ، والسادس اثنتان ، والسابع واحدة ثم أربع تفاعيل والبقية كل واحد منها اثنتان فالجمل المذكورة موزونة أي أن حركاتها وسكناتها تأخذ نسقا معينا يتكرر بصورة منتظمة ..

والفرق بين وزن الكامل كما ذكره الخليل ووزن الكامل في هذه الابيات الجديدة أنه كان يشترط أن يكون في كل بيت ست تفاعيل لايجوز زيادتها ولا تجوز نقيصتها .. واذا كان مجزوءا اربع تفاعيل اما الوزن الجديد فيبيح اختلاف الابيات في عدد التفاعيل التي تكونها .

هذا التلاعب في عدد تفاعيل البيت الواحد هو الميزة الاساسية التي تدعونا الى اعتبار الشعر الحر نوعا شعريا جديدا ولا توجد أية ميزة أخرى يمكن اعتبارها خصيصة له دون سواه .

أما القافية فشأنها في الشعر الحر مثل شأنها في كل أنواع الشعر .. فقسم من نماذج الشعر الحر مقفاة بقافية موحدة .. ومثاله من شعر محي الدين فارس : قصيدة (الطين والاظافر) :

اني كسرت قواقعي
وغدا سأطلق للرياح زوابعي
وسأسترد مرابعي
وشواطئي ، وخرافي البيض الصغار تشق خضر مرابعي

وأروح أخطر حالما نشوان بين مزارعي
شبابتي لحن الغدير ، وثرثرات منابعي
اني كسرت قواقعي
وتمردت نفسى الحبيسة في قديم صوامعي
خلف الحياة ، وخلف اسوار الظلام القابع
وأصابعي
هتكت سراديب الافاعي الكامنات .. أصابعي
فأضأت قلب كهوفه ، ورأيت كنز مزارعي
.. الخ . (الديوان /..)

ومثل هذه القافية الموحدة نجـــدها في شعر نزار قباني (طــوق الياسمين) و (اوعية الصديد) وسواها .

وقسم من نماذج الشعر الحر مقفاة شأنها شأن الموشح بقوافي ثنائيـة أو ثلاثية او رباعية او خماسية أو اكثر من هذا .. وفيما يلي نمـــوذج (اغنية الى احدى رسائلها) من شعر أدونيس وهي قصيدة مقفاة بقافيـــة ثنائية :

يدي الآن راعشة تتهيب لغز الحروف
لأي كروم يهيأ زندي لأي قطوف
يدي الآن تشعر أن العوالم تأوي اليها
وتحنو عليها
وتضحك في ناظريّ رساله
مفيأة بتكية نهد يعبّ غلاله
يدي يا يدي لامسيها برفق ففيها حريقه
وفيها الغد الابديّ العجيب يشق طريقه
وفيها الجمال
مجاهل مرهقة وعناء وما لا يقال

رسالتها يا عروق الزنابق ، يا كرم أرز
ويا .. يا ابتداء حياة يكنّ كنسغ ، كرمز
.. الخ . (قصائد اولى / ..)

والاكثرية من نماذج الشعر الحر تعتمد القوافي المتداخله أو أنها تشعر القارىء بأنها تحوم حول نوع من القوافي توحي بها ولا تحققها ومثاله .. النموذج الآتي من شعر عبدالكريم الناعم :

دبيب الحنظل الأبدي في أحشائي الكلمى
يمرغني على أعتاب حرف ضوءه خابي
ويسلمني لظفر الليل ، ينحرني على بابي
أصارعه وتنهشني عيون الحوت ،
ـ « واسلمى »

ويغمض جفنها الساجي على قوسي ونشابي
دبيب الحنظل الابدي في وادى الغضا تسب
نما ، فنباته الصخري في أم القرى لهب
زرعناه على جدران قلب هدّه التعب
مضغناه ، وأطعمناه في صفد لاخوتنا
وأعطيناه صاحبنا جراحات وأمواتا
دفعنا السم في يافا بلا حس لصبيتنا
ـ : « تمسكنا بريح الغيب في حيفا ،
وكان يريد افلاتا

تبعناه وموتانا بلا قبر ..
بكاء الريح في آذانهم سغب ..

(ديوان زهرة النار)

هذا هو الشعر الحر من حيث الوزن والقافية ويعتبر السياب الرائد

الاول له ومقرر أصوله ونظرياته .

كان الرأي السائد ان الشعر الحر لايمكن أن ينظم الا على الاوزان الصافية وهي التي تتألف من تكرار تفعيلة واحدة كالمتقارب والكامل والرجز والوافر والرمل والهزج والمتدارك (الخبب) ولكن السياب أثبت أن كل بحر من بحور الشعر العربي الستة عشر تصلح للاستعمال في قصائد الشعر الحر اذا روعي تكرار الوحدة الاساسية في البحر والوحدة الاساسية في بعض البحور تتكون من تفعيلة واحدة وبعضها من تفعيلتين مثل البسيط والطويل ..

وقد نظم السياب قصائده الحرة على المتقارب والرجز والوافر والبسيط والمتدارك والكامل والسريع والرمل والخفيف والطويل ..

وحين نتجاوز ديوان أساطير الى مجموعة انشودة المطر وما بعدها نشعر بأن الوزن العمودي انفصل تماما عن اصالة السياب وذاته الى درجة أقرب الى القطيعة .

ومنذ صدور انشودة المطر التزم السياب بالشعر الحر وخصه بعواطفه وأحاسيسه ومثله العليا وانكر هذه على الشعر العمودي .. فكان حين يريد ان يعبر عن موقف يعتز به ينتج شعراً حراً وينشره في كبريات الصحف الادبية ويطبعه ضمن مجاميع شعره وحين يريد ان يشعر القارىء بأن هذه القصيدة او تلك مفروضة عليه لاعتبارات خاصة يلجأ الى الشعر العمودي ليدل على أنه كاره لما نظم ، وأنه بریء مما نظم ولا يدرج ما نظم في دواوينه الشعرية ولا ينشره الا في الصحف المحلية العابرة .. ونحن على علم بهذه القصائد وعلى علم بما أراده السياب منها وان استغلالها للتشهير به لن يخدم المستغلين ولن يوصلهم لاغراضهم .

وقصائد السياب الحرة ليس فيها ما هو مقفى بقافية واحدة أو منظمة بأعداد حسابية ما عدا قصيدة (المعبد للغريق) ..

ان مقاطع هذه القصيدة مقفاة بشكل خماسي بحيث تتفق قافية البيت

الاول مع البيت الثالث ، وتتفق قافية الثاني مع الرابع والخامس والتزم السياب ان تكون كلمة القافية في البيت الثاني هي كلمة القافية في البيت الخامس .. وفيما يلي مقاطع منها

خيول الريح تصهل ، والمرافيء يلمس الغرب
صواريها بشمس من دم ، ونوافذ الحانه
تراقص من وراء خصاصها سرج .. وجمع نفسه الشرب
بخيط من خيوط الخوف مشدوداً الى قنينة .. ويمد آذانه
الى المتلاطم الهدّار عند نوافذ الحانه .

***

وحدّث وهو يهمس جاحظ العينين مرتعدا
يعب الخمر ، شيخ عن دجى ضاف وادغال
تلامح وسطها قمر البحيرة يلثم العمدا ،
يمس الباب في جنبات ذاك المعبد الخالي
طواه الماء في غلس البحيرة .. بين أحراش وأدغال

***

هنالك قبل ألف حين مج لظاه من سقر
فم يتفتح البركان عنه ، فتنفض الحمى
قرارة كل ما في الواد من حجر على حجر
تفجر باللظى رحم البحيرة ينثر الاسماك ، والدم ، مرغيا سما
وقرّ عليه كلكل معبد عصفت به الحمى ..

... الخ . (المعبد الغريق /..)

٥

ويمتاز اسلوب السياب بعد كل هذا بما يعرف بالتعبير بالصور أو محاولة ايجاد المعادل الموضوعي في الادب .

والذي افهمه من مصطلح المعادل الموضوعي ان الشاعر يضع القارىء في نفس التجربة التي عاشـــها ويدعـــه يتحسس بنفســـه باللهفـــة ، أو بالحسرة ، أو بالزهو والفخر .. وغير ذلك من المشاعر .. انه لا يقول بأنه حزين ولكنه يصور أجواء تبعث الحزن ، ولا يقول انه متلهف ولكنه يصور أجواء تثير اللهفة .. وهذا الذي أذكره متوفر في شعر السياب.. ومن أمثلته قصيدة شناشيل ابنة الجلبي ..

ان موضوع القصيدة هو نفس الموضوع الذي عالجه الشاعر العربي القديم حين قال :

ذهب الشـــباب فما لـــه من عـــودة

وأتى المشـــيب فأين منـــه المهـــرب

والفرق بين ما قاله الشاعر القديم وما قاله الســـياب هو الفرق بين حديث عن احساس وبين ايجاد معادل موضوعي يبعث ذلك الاحساس .

يحدثنا الشاعر عن ذهاب الشباب ويذكر أنـــه لن يعود ويقصـــد بحديثه أن نتحسس عظم الخسارة ولوعة الذكرى ولهفته لشبابه ولكننـــا لا نشعر بقصده فما الذي يدرينا أن الشيء الذي ذهب كان جميلا رائعـــا ممتعا بحيث أنه بمجرد أن يذكر ذهابه تستثار نفوسنا وتهيج مشاعرنا .. انه لم يضع القارىء في جو التجربة .

أما السياب فقد استحضر أمامنا كل عناصر الجو والمكان الذي عاش بينهما التجربة مع المحافظة على دقائق الحياة في الصور التي يستحضرها .. أي أنه يستدعي عناصر التجربة بكل غناها وحيويتها وروائها .. بما فيها من عظمة وتفاهة ..

يستحضر في بداية قصيدته موقف صبيان قرويين يتطلعون الى السحاب وكأن البرق الذي ينضح من خلاله أنغام ، تتسرب من ثقوب معزف ... وندرك أنهم مجتمعون مع جدهم ذي الصوت الهادر في جوسق وهنالك فلاحون يدعون الله أن يغيثهم وصغار يصيدون الارانب ، وناطور البستان

يحدق معهم حينا ويراقبهم حينا آخر • ثم يسقط المطر فيمتلىء النهر وهو ضاحك بالفقاعات الملونه وقد يتساقط بعض الرطب من بعض النخيل الذي يتأخر جنيه الى أوائل الشتاء ••

ثم ينقلنا الشاعر الى صورة جديدة •• فهنالك شناشيل ابنة الجلبي الباذخ الرائع المحاط بحديقة غناء ينور فيها الزهر ، وتسطع عقود اللبلاب البيضاء من حوله وبين هذا الزهر واللبلاب تطل آسية ذات العينين الكحيلتين ••

فتبعث نشوة المطر بفقاعاته وبرقه ورعده وأحاديث الجد والناطور ممزوجة بنشوة الحب وسحر آسية ولبلابها •• احساسا غامراً بالفرح فينطلق الصبية يغنون للمطر ولابنة الجلبي معا ويرقصون مع اغنيتهم البسيطة الثرية :

يا مطراً يا حلبي
عبّر بنات الجلبي
يا مطراً يا شاشا
عبّر بنات الباشا
يا مطراً من ذهب

وفي هذا الجو من المطر والحب والاغنية ينسى الناطور نفسه ويمتزج واياهم فيقص لهم قصة خضراء بينما هو يدير كؤوس الشاي عليهم في ذلك الجوسق الحالم بين غابات النخيل •• ولكنه رغم ذلك لا ينسى واجبه فهو يلمس بندقيته دليلا على يقظته وحذره وتأهبه لمجابهة ما يخشى خطره وهو يسعل لكي يسمع سعاله فيعرف اللصوص أو العابثون أن أحمد غير نائم •

وبعد مرور وقت تتقطع الغيوم ويلوح قوس قزح وتلون ذرى شناشيل ابنة الجلبي حمرة الشفق •• ثم يصيح أحد أخوة الشاعر بعد ان أدركهم المساء :

أنمكث في ظلام الجوسق المبتل ننتظر ؟!

***

هذه الصور الجميلة ، والاغنيات العفــوية ، والروابط التي ألفت بين الجد وأحفاده والناطور وابنة الجلبي ، وغير ذلك جعلتنا نشعر مع الشاعر بأنه عاش لحظات هانئة طيبة ساحرة كأننا نجرب ما جربه ، وكأن هــذه الصور الشعرية معادلة من حيث التأثير لتلك الصور الطبيعية الواقعية .

وبعد ذلك يقول السياب في ختام قصيدته :

ثلاثون انقضت ، وكبرت : كم حب وكم وجد
توهج في فؤادي !

غير أني كلما صفقت يدا الرعد
مددت الطرف أرقب : ــ ربما ائتلق الشناشيل
فأبصرت ابنة الجلبي مقبلة الى وعدي !
ولم أرها . هواء كل أشواقي ، أباطيل
ونبت دونما ثمر ولا ورد !

هذا المقطع الاخير يأتي بعد تلك التجربة التي عشناها مع السياب ليبين لنا أن الزمن قد مر واجتاز في مروره ثلاثين عاما وذهبت تلك اللحظـات الهانئة .. ويزيدنا الشعور بمرارة هذا الذهاب أن الشاعر يضعنا في كَبـد تجربة جديد .. نتطلع معه الى السحاب كلما أبرق لعلنا نرى شناشـــيلنا المفقود ..

لم يقل الشاعر السياب ذهب الشباب فما له من عودة .. ولكنه جعلنا نعيش معنى الشـــباب ، ونعيش معنى الذهاب ، ونعيش معنى اســتحالة العودة ..

هذه الطريقة في التعبير الادبي ليست احدى ميزات اسلوب السياب وانما هي احدى مظاهر ابداعه وسمو منزلته الفنية وهي لا تبدو في كل قصيدة من قصائده ولكنها موجودة في عدد كثير من قصائده .

٦

وصفة أخرى رائعة من صفات أسلوب السياب أنه حريص على أن يضع القارىء في منازعة حية يراوح بها بين أكبر عدد ممكن من المتناقضات •• أي أنه حريص على أن يجعل لشعره تأثيرا ديالكتيكيا في نفسية قارئه ان جاز هذا التعبير •

يقول أحد النقاد الغربيين : « أنا أقرأ مقطوعة شعرية أو اسمعها واستطيع سماع موسيقى الكلمات وتتاليها بوصفها أنغاما وتسلسلها اللفظي الخالص •• وأنا أتذوق ألحان الابيات وموسيقاها أو تدفقية القصيدة •• بيد أن هذه الكلمات لها معان ••

انها تدل على أشياء وكائنات وأفكار ومشاعر فهي تحيل اذن على ما توحي به أو تصفه •

والحياة الشعرية لهذه القصيدة تأتي من الحركة التي يتنقل فيها القارىء أو السامع دون انقطاع من أحد هذين الوجهين الى الآخر : حين يرسل من الموسيقية الى الدلالات أو على العكس •• حالا التناقض دون انقطاع ••

[في علم الجمال/هنري لوفافر/ترجمه عيتاني ص ١٢٥]

هذه نظرة صائبة الى حد ما ولكن الاحالة من الشكل الى الواقع وبالعكس لا تستطيع أن تمنع رؤية تناقضات أخرى داخل القصيدة هي أيضا تحيل القارىء من جانب الى آخر •

فالأديب أو الشاعر يستفيد من بيئته المحلية ويقتبس منها كل أدوات ومواد بناء أثره الفني من شخوص وصور وصيغ وغيرها •

وخلال عملية البناء الفني تطل الانسانية من هنا وهناك وعند ذلك يكون نجاحه متعلقا بمقدار ما في الاثر من منازعة حية بين المحلية والانسانية •

وفي الاثر الفني تناقض بين الأنا والنحن ، بين الفردية والجماعية ،بين ذات الفنان ، وذات المجتمع •

وان الفن الناجح مدين في كثير من نجاحه الى كونه يحرض القارىء على أن يتردد بين الفرد والمجتمع .

فرباعيات الخيام مثلا لاتختص بالخيام ذاته كما لا تنفصل عن ذاته انها تحيل القارىء الى الفنان تارة والى المجتمع والوجود الانساني تارة أخرى ، ومن هذا التردد ينشأ الانفعال الذي يحبب الأثر الفني لمتلقيه .

وفي الأثر الفني يتناقض الجزء مع الكل .. فعناصر بناء اللوحة أو القصيدة منفردة تختلف عن كونها داخل البناء العام .

فالقارىء أو متلقي الأثر الفني يشعر بأن الكل يحيله الى تأمل الجزء وأن الجزء يحيله الى تأمل الكل .. وحل هذا التناقض يؤدي الى الانفعال وتذوق الأثر .

وأخيرا فان نظرية الشكل والمضمون أو المبنى والمعنى تمثل تناقضاً يحيل القارىء من جانب لآخر ، وكذلك الوعي واللا وعي في الاثر الفني يتجاذبان القارىء فهو تارة معني بملاحظة آثار الوعي وتارة معنى باكتشاف أثر اللا وعي .

والشعراء يتفاوتون في عدد التناقضات التي يوفرها الاثر الفني الذي ينتجونه فبعضهم لايوفر سوى تناقض واحد، وبعضهم يوفر تناقضين أو أكثر .. وفي رأيي أن أعظم الاساليب الفنية واكثرها روعة وجاذبية هو الاسلوب الذي يوفر اكبر عدد ممكن من التناقضات التي مر ذكرها .

ونجاح السياب يعود في كثير من جوانبه الى حرصه على أن يضع في قصيدته اكثر ما يستطيعه من الاضداد .. ونوافر الاضداد عند السياب تختلف عن نوافر الاضداد التي نجدها في شعر أبي تمام ..

فقد كان أبو تمام حريصا على أن يكون التضاد بين صوره .. وقد اصطلح على تسمية هذه الظاهرة (بالطباق) .. ومثاله قوله في صفة جمل :

رعته الفيافي بعدما كان حقبة

رعاها وماء المزن ينهل ساكبه

وقد تطور طباق أبي تمام في شعر من جاء بعده فأصبح طباقا بين لفظتين

كالصباح والمساء ، والحزن والسرور ، والهجر واللقاء ، والطول والقصر وهكذا •

أما السياب فقد جعله طباقا داخل القصيدة بين المحلية والانسانية ، بين الأنا والنحن ، بين الوعي واللا وعي ، بين الجزء والكل ، بين الشكل والواقع ، وغير ذلك •

فلنأخذ مثلا قصيدة (النهر والموت ••) نجد أن الشاعر يقدم معنى انسانيا ذا صفة شمولية عامة في اطار من المحلية الضيقة الخاصة التي لا تتعدى جيكور وبويب النهر الصغير فيها •• وبين شمولية المعنى ومحلية التعبير يتذبذب القارىء محالا من جهة الى اخرى •

وفي القصيدة نجد الصور والتعابير والمجازات والموسيقى وكل خصوصيات الشكل تشدنا اليه من ناحية ولكن دلالة الالفاظ تحيلنا الى الواقع الريفي فنتأمل ذلك الصبي وجرار الماء التي تنضح والتلال المطلة على النهر وأسماكه وقواقعه وغير ذلك ••

وفي القصيدة نجد الشاعر يعبر عن ذاته تعبيراً يوهمنا أنه منطو على نفسه ، منعزل عن المجتمع وأحداثه ومشاكله ولكن الواقع أنه مرتبط أشد الارتباط بالمجتمع محتضنا كادحيه ، ثائراً بوجه الطغاة ومن هنا نشعر بأن القصيدة توفق بين الأنا والنحن ، بين الفردية والجماعية •

وفي القصيدة نجد ان كل جزء من أجزائها له كيانه المتميز ونجد القصيدة تنقسم الى مقطعين كأنهما منفصلان لا رابط بينهما سوى الارقام ولكن تأمل القصيدة يرينا ان كل مقطع له دوره في بناء المعنى الكلي للقصيدة، وكل جزء في كل مقطع منهما له دوره في بناء المعنى الكلي للمقطع •• وهكذا يتضح لنا الطباق بين الجزء والكل الذى يضع القارىء في منازعة حية تحيله تارة الى الجزء وتارة الى الكل ••

واضافة لكل هذا نجد الوعي واللا وعي يتباريان في بناء هذه القصيدة وبذلك يكون السياب قد استوفى في قصيدته اكثر ما يمكن من المتناقضات فجاءت قصيدته ذات شكل أو أسلوب ديالكتيكي جيد •

المحتوى

١

يحتوي شعر السياب اولا تجارب حياته وقد سبق الكلام عنها في بداية الكتـــاب .

ويحتوي اضافة الى هذا : دراسات عميقة لعدد كبير من النمـــاذج البشرية ، وتصويراً رائعا لمظاهر الطبيعة والبيئة العراقية ، ومجموعة جيـدة من الصور الوثائقية ذات القيمة التاريخية ، وسلسلة من الافكار والمفاهيـم الانسانية .. وسنحاول في هذا الفصل بحث هذه النقاط .

تبارى السياب مع كتاب الرواية والمسرحية في رسم النماذج البشـرية ودراستها دراسة دقيقة .. وقد نجح السياب لا في ان يسبقهم وانمـــا في مجاراتهم وادراك شأوهم .

ان شخوص السياب لا تقل روعة ، عن شخوص نجيب محفوظ في خان الخليلي وزقاق المدق والثلاثية وسواها .

كما أن شخوص السياب ترتفع الى مستوى جفروش ، وفيجاور ، ودون كيشوت ، وفاوست ، وهاملت ، وألسست وغيرهم من النماذج التي عرفنا بهم الناقد محمد مندور .

ومن بين أبرز النماذج البشرية في دواوين السياب : حفار القبور ، والمومس العمياء ، والمخبر ، وغريب على الخليج ، وفوكاي ، وحسناء القصر ، وحامل الخرز الملون ، وأيوب وحميد وابن الشهيد وغيرهم •

ولنستعرض شخصية المخبر كما درسها السياب ولم أختر هذه الشخصية لانها أجمل شخوصه أو أضخمها أو أغناها مالا ، وأعلاها جاها او اتعسها حظاً وأوطأها قدرا •• وانما اخترتها لانها شخصية أعرفها معرفة جيدة ، وأحس بوجودها واهميتها في كل مكان حللت فيه ولان السياب برسمه لها غير موقفي حيالها من الحقد والبغضاء الى الحب والوداد ••

ولعل قصيدة السياب قادرة على ان تبدل نظرات غيري لهذه الشخصية الاجتماعية ذات الاثر العميق في نفسية كل فرد منا وفي حياته سواء كان من الناحية الايجابية في حماية أرواحنا وممتلكاتنا أو من الناحية السلبية في رصد تحركاتنا واعمالنا المكتومة •

هذا المخبر الذي يتحدث عنه السياب لا يختلف عن أي انسان آخر في هذا الوطن •• انه يريد ان يعيش كما يعيش الاخرون ، ويريد ان يحافظ على مهنته ويجيدها لانها هي وسيلته الوحيدة التي يكسب منها قوته وقوت عياله •

وهو عامل جيد ، قد اتقن عمله وانسجم معه فلا يعبأ بما يقال عنه وما يوصم به مع علمه بكل ما يقال وبكل ما وصم به من نعوت ••

أنا ما تشاء : أنا الحقير
صباغ أحذية الغزاة ، وبائع الدم والضمير
للظالمين ، أنا الغراب
يقتات من جثث الفراخ • أنا الدمار ، أنا الخراب !
شفة البغي أعف من قلبي ، وأجنحة الذباب
أنقى وأدفأ من يدي • كما تشاء •• أنا الحقير ••

وقد أراد السياب بهذه الفقرة المليئة بالصور ان يدرس ارتباط المخبر

بالواقع وتفاعله معه وان يرينا البيئة التي يتحرك بها •• فهي بيئة صـراع ومنازعة قاسية مريرة ، ملغومة ، بالاشاعة والنار والدم •

وهو يضعنا في البدء أمام أزمة هذا المخبر ويبين مبلغ قوته ورباطة جأشه وقدرته على تخطي ألغام البيئة واجتيازها لأنه يدرك أين هو موضع اللغم •

ثم يدرس السياب هذا المخبر أثناء عمله فنعرف أنه شخصية متيقظـة ذات اطلاع ومعرفة جيدة بتحركات اعدائه ، وهو ذو عينين حادتين لا يفلت منهما شيء تتقريان قسمات الوجوه ، وترصدان ارتعاش كل عضو •• وهو ذكي يعرف لماذا يتستر أعداؤه بالجريدة ولماذا ينظرون اليه نظرات متقطعة من حين لآخر •• كما انه قوي ذو بنية جسدية متينة تساعده على أن يقتفي الأثر حتى الى السعير ••

وسأقتفيه فما يفرّ ، سأقتفيه الى السعير •
أنا ما تشاء : أنا اللئيم ، أنا الغبي ، أنا الحقود
لكنما أنا ما اريد : أنا القوي ، أنا القدير •
أنا حامل الاغلال في نفسي ، أقيد ما أشاء
بمثلهن من الحديد ، واستبيح من الخدود
ومن الجباه أعزهن • أنا المصير ، أنا القضاء •
الحقد كالتنور فيّ : اذا تلهّب بالوقود
ــ الحبر والقرطاس ــ أطفيء في وجوه الامهات
تنورهن ، وأوقف الدم عن ثدي المرضعات

وحين ينهي السياب دراسة القوة البدنية لشخصية المخبر يقودنا الى دراسة تاريخ الرجل فقد كان قبل ان يمتهن مهنته الاخيرة كغيره مؤمنا بالمثل التي يؤمنون بها ، وموقنا بالقيم التي يوقنون بها ، راضيا بالاحـــلام التي يحلمون بها •• ولكن الحاح الحاجة عليه أجبرته على أن يغير ما كان لديه واذا الضمير شبح من الاشباح ، واذا الخفير يتحول الى لص ••• ولقد عودته النكبات التي اجتازها والغمرات التي خاضها والطعنات التي طعن بها

شيئا فشيئا ان يعتاد حياته الجديدة واذا هو كما قال الشاعر القديم يتداوى من الداء بالداء ذاته •• واذا هو كما قال الآخر : مالجرح بميت أيلام •• واذا هو مصر على أن يتناسى الجريمة بجريمة أخرى ، والضحية بضحايا سواها •• واذا هو يتحسس بأن قوته وقوت عياله مختلف عن قوت سواه وهنا ندرك من خلال دراسة السياب ان لهذا المخبر ذرية صغارا يعتمدون عليه فهم بحاجة الى الرعاية بحاجة الى الكساء ، بحاجة الى الخبز •• وهو مسؤول عنهم وغير مسؤول عن كل الناس ، أب لهم وليس أبا لكل الناس ونسمع مع الشاعر صراخه المرير بأنه يريد ان يروى ويعيش كالاخرين ، يريد أن يحتفل بالحياة كما يحتفل بها غيره فلماذا يكرهون له هـــذا الاحتفال وينقمون عليه •• ؟

وأخيرا تنهار مقاومة هذا الرجل الذي تحدى عوائق البيئة ، وتحدى خصومه ، وتحدى وخز الضمير •• واذا هو يصرخ صراخ المستغيث يطلب رحمة ربه ، ويستغفره ، ويسأله عن القدر الذي حمله فوق ما يحتمل من العبء والاهانة واذا هو حبيب الى نفوسنا موضع عطف واشفاق ••

واني سأحيا لا رجاء ولا اشتياق ولا نزوع
لا شيء غير الرعب والقلق الممض على المصير
ساء المصير !
رباه ان الموت اهون من ترقبه المرير
ساء المصير !
لم كنت أحقر ما يكون عليه انسان حقير ؟

هذا هو نموذج من النماذج البشرية التي احتواها شعر السياب وانها نماذج حية تظل تعيش في مخيلتنا مدة طويلة لانها خلقت لتحيا ••

والسياب يضع في نماذجه البشرية كثيرا من المعاني ويهدف من ورائها التوصل الى أغراض جمة دون ان يسيء الى حيويتهـــا أو أن يتدخل في حركتها •

٢

ويحتوي شعر السياب احساسا عميقا بجمال الطبيعة وروعتها وقد عاش السياب حياته بين أحضان الطبيعة يتنقل بين ظلال النخيل وعلى شواطيء الانهار وفوق زرابي المروج •• وما كادت الظروف تقذفه بعيدا عن قريته الهادئة الحالمة حتى شغل نفسه بالحنين الى جيكور حنينا طاغيا عارما ، واذا بصور الطبيعة في قريته تتضخم تضخما كبيرا بحيث تستوعب كل مظاهر المدنية والحضارة التي جذبت انتباهه وكأن الصيغ والصور الريفية التي حملها معه الى المدينة قد افترست المدينة •

فجيكور هذا الاسم المغمور المنزوي تضخم رويدا رويدا ليصبح اكبر من المدينة بغداد واكبر من الوطن العراق ••

وبويب النهر الصغير المنساب على مقربة من أبي الخصيب يصبح اسما كبيرا يتداوله القراء والادباء كما يتداولون اسماء كبيرة مثل دجلة والفرات ، والنيل ، والتيمس •• وغيرها •

ولنأخذ مثلا من شعر الطبيعة لديه قصيدة نهر العذارى وهي في ديوانه الاول وقد نظر وهو ينظمها الى قصيدة النهر المتجمد لميخائيل نعيمه في كل فقرة من فقراتها وحتى في بنائها العام ولكنها تختلف عن قصيدة نعيمة في ان السياب وضع فيها شيئا كثيرا من ذاته فجاءت وهي تمثل صوت السياب وروح السياب لا صوت سواه وروحه •

يبدأ القصيدة بالحديث عن الفروع المتشابكة حول النهر والظلال المحيطة به ، وصفحة المياه المجلوة اللامعة كأنها مرآة •• وهي مرآة خضراء بسبب ما يحيط بها من خضرة النخيل والاشجار •• ويرى شاعرنا النجوم التي يوقدها الليل في جانبي هذا النهر فيقول :

يا نهر ، لولا منحناك وما يشابك من فروع
ما كانت البسمات في عيني تطفأ بالدموع

• • •

حجبت بالشـأو البعيد تسـد بابيه الظلال
وجها تلاقى في محيـاه الوداعـة والجمـال

• • •

مرآتك الخضراء منذ جلوتها تحت السـماء
ما لاح فيها مثل ذاك الوجـه في ذاك الصفاء

• • •

ان اوقد الليل العميق نجـومه في جانبيك
لماحـة الاضـواء تغمر بالاشـعة ضفتيك

• • •

ناشدت الحاظ الكواكب وهي تخترق الظلام
الا ينمن ـ وان تشهين الكرى ـ حتى تنام :

وهنا يتحدث السياب عن النجوم ويخاطبهن خطابا يذكرنا بأحـدى قصائد الشاعر الباكستاني الكبير محمد اقبال ولعل هذا الخطاب مضمنا اذ وضعه السياب بين قوسين :

« أنتن أسعد ما أظل الكون يا زهر النجوم
أنتن أبصرتن ذاك الوجه في الليل البهيـم »

• • •

ويستعمل السياب في هذه القصيدة صورة الجناح المقصوص يطلقها مرة في صفة النجم الاخير حين يدركه الصباح فينقض تحت القبة الزرقـاء مقصوص الجناح ، ويستعملها مرة أخرى في صفة الظل ابان الظهيرة حيث يفر من عود الى عود وهو مقصوص الجناح .

وفي هذه الصورة يظهر السياب مقدرة رائعة في استحياء مظاهر الطبيعة وتشخيصها ويصورها لنا وهي متحركة ..

• • •

حتى اذا ما رنح النجم الاخير سنا الصبـاح

فانقض تحت القبة الزرقاء مقصوص الجناح

• • •

أصبحت فوق المعبر المهجور أرقب منحنـــاك
فأبوح بالشكوى وتسكت عن شكاتي ضفتاك

• • •

الفتنة السمراء تسرقها مياهك بعد حـين :ـ
الشـــعر والعينين والثغر المنضـــر والجبـــين

• • •

فاذا الهجيرة أطلقتهـــا زرقة الافق البعيـــد
فالظل مقصوص الجنـــاح يفر من عود لعود

• • •

والسياب لا يعبأ بالطبيعة لكونها طبيعة ولكنه يحب هذه الطبيعة بمقدار صلتها بالانسان •• فهذا النهر الذي يحبه ويجد الجمال والحسن يحيطه انما بسبب كونه نهرا للعذارى •• نهرا من أنهار جنوب العراق تقصده النسوة القرويات كلما طفح ماؤه وهن ينتظمن في سلك طويل من العباءات والضفائر والوجوه السمراء الباسمة والجرار النحاسية والفخارية •• انـه يحبه لان حبيبته أحدى هؤلاء العذارى اللواتى تعودن استقاء الماء منه وتعود هو استقاء الحسن والسحر والفتنة منها ومنه •

• • •

سارت اليك بطيئة الخطوات ذابلة الشفاه ،
جاءتك ظمأى بالبنان الرخص تغترف المياه •

• • •

كم عـدت مخمور الفؤاد بموعد المد القريب
جـذلان أقتحم الظهـــيرة بالتطلع والوثوب

• • •

التوت فوق الشاطىء الغربي والسعف الصموت

لا يجهلان تنهداتي وهي بينهما .. تموت ..

* * *

والسياب لا يجد صعوبة في فهم الطبيعة .. فهو مثلا يدرك الوقت حين يكون في غابة النخيل من ساعة الظلال .. ويتنبأ كلما نظر الى هذه الظلال بمواعيده .

والغاب ساعتي الحبيبة من ظلال عقرباها
كم انبآني أن طرفي بعد حين قد يراها

* * *

واليوم يسقى مدك العاتي أواخر كل جزر
لا ذاك يجلوها ولا هذا بما ارجوه يجري

* * *

واليوم ان سكرالخرير وعاد يحتضن الجرارا
لم ألق عذرائي ...
فكيف الصبر يا نهر العذارى ؟

* * *

وبهذا تنتهي قصيدة هذا النهر الحبيب الفاتن .. ولشاعرنا قطع رائعة أخر في وصف الطبيعة نجدها في كل ديوان من دواوينه . وفي أزهاره الذابلة وأساطيره خاصة صور الطبيعة في البصرة بدقة وامعان .. صور النخيل ، والشواطيء ، والاشرعة ، وجواسق التمور ، والليالى المقمرة ، والدرابك ، والمعابر والقناطر وغيرها .

٣

ويحتوي شعر السياب صورا ذات طابع وثائقي هام .. فمن هذه الوثائق مثلا حديثه عن منزل الاقنان ..

وهو نوع من المنازل انقرض أو كاد ان ينقرض وبدأت المنازل المبنية على الطراز الغربي تتغلغل حتى في أعماق الريف لتحل محله .

ان منزل الافنان أثر من آثار العمارة الشرقية وسيأتي يوم يحتاج فيه الباحثون الى تعريف به •• يحدد لهم طبيعة بنائه ونوعية الحياة الاجتماعية بين جدرانه ••

وسيجدون في شعر السياب هذه الوثيقة التي يفتقدونها حيث يتحدث عن هندسته وسكانه •

يتكون منزل الأفنان من غرف عديدة وهي ذات أبواب ونوافذ كثيرة •• ويبدو ان هذه الابواب والنوافذ كانت من المتانة والقوة بحيث عمرت طويلا حتى بعد ان خربت الجدران وتهدمت •• ويحتوى سلما يبنى بطريقة الابراج وتوضع في بنائه الالواح •

وكان كل منزل من هذه المنازل الكبيرة يحوي باحة رحبة وتزرع عادة في وسط هذه الباحة سدرة وحين تنمو تتفرع ذوائبها فتكسب المنزل جمالا وظلا •

وتعد هذه المنازل اعدادا ييسر كل ضرورات الحياة وكمالياتها وفيه تزدحم الاجيال •• حيث نجد الجد الأشيب المنحني الظهر مع ابنه الشاب القوي الممتلىء مع الطفل الحفيد •• وحيث نجد النساء العجائز مع الزوجات الشابات مع العذارى والصغيرات وفي هذا المجتمع الصغير نجد مهودا تهتز بالمواليد الجديدة من جهة ، وتوابيت تهتز بالموتى الراحلين ••

فهاهنا أم تهدهد طفلها وتمد له ثديها باللبن ، وهنالك اب مفجوع أو أخ أو ابن يخنق صوته الالم •

ونعرف من قصيدة السياب اضافة الى ما تقدم •• أن وسائل التسلية والترفيه في مثل هذه المنازل لم تكن الاذاعة ولا التلفزيون ولا أي شيء من هذا القبيل وانما هي قصص ألف ليلة وليلة •• حيث يجلس القصاص يدندن عن الجنيات وقمر الزمان كل أمسية ••

ونفهم من قصيدة السياب أن الزيجات كانت تتم داخل أسوار هذا المنزل بين أبنائه وبناته •• وداخل اسواره كانت تدور مغامرات الحب •

وان وسائل التدفئة في مثل هذه البيوت كان بايقاد النار التي يتحلق

حولها الشيوخ والاطفال ..

ومن العادات والتقاليد أن الاطفال يخلدون للصمت في حضرة الشيوخ ... وحين يغادر الشيوخ المنزل كل ضحى يأخذ الصغار حريتهم فتطير الاغنيات الخضراء تملأ الجو كماء جدول رقراق .

قال السياب في بداية قصيدته :

خرائب فانزع الابواب عنها تغد أطلالا
خوال ، قد تصك الريح نافذة فتشرعها الى الصبح
تطل عليك منها عين بوم دائب النوح .
وسلمها المحطم ، مثل برج دائر ، مالا
يئن اذا أتته الريح تصعده الى السطح
سفين تعرك الامواج الواحه
وتملأ رحبة الباحه
ذوائب سدرة غبراء تزحمها العصافير
تعد خطى الزمان بسقسقات والمناقير
كأفواه من الديدان تأكل جثة الصمت .. الخ .

وألاحظ أن منزليات السياب تؤرخ نهاية الاقطاع في الريف العراقي ..

ومن قصائد السياب الوثائقية أيضا قصيدته عن أم البروم وهي وثيقة هامة في تخطيط المدن ، وبصورة خاصة في هندسة مدينة البصرة .

ان هذه القصيدة تحدثنا عن أن المقابر كانت قريبة من الاحياء السكنية وحين توسعت المدينة بسبب هجرة ابناء العشائر والقرى اليها اضطرت الحاجة العمرانية المسؤولين الى أن ينقلوا المقبرة الى مكان آخر .

والسياب يسمي هذا التوسع العمراني بأنه عملية ترحيل ويصف المدينة بالرحى التي عركت لحوم الاحياء ثم أمتدت الى عظام الموتى وجماجمهم .

ويعرّف السياب قراءه والاجيال الآتية من بعده أن هذا التوسع لم

يكن لاغراض نبيلة فاضلة وانما هو لبناء ملاهي الرقص وحانات الخمر .. وقد صدق ولكن هذه الحانات التى تحدث عنها السياب والملهى الـــذي ذكره في منطقة أم البروم هي بدورها قد أزيلت بعد وفاة الشاعر وأصبح مكانها ساحة عامة لوقوف سيارات مصلحة نقل الركاب العاملة بين المعقـل والجمهورية ومحلة الهادى والعشار .. وتقرر ان تبنى في جزء من الحديقة عمارة مديرية البرق والبريد ..

يقول الشاعر :

مدينتنا رحى ، ودروبها نار ،
لها من لحمنا المعروك خبز فهو يكفيها
علام تمد للأموات أيديها وتختار
تلوك ضلوعها وتقيئها للريح تسفيها ؟
تسلل ظلها الناري من سجن ومستشفى
ومن مبغى ومن خمارة .. من كل ما فيها ..
... الخ .

وللسياب وثائق سياسية عديدة في حوادث العراق التي وقعت خلال حكم عبدالكريم قاسم ، ووثائق قومية حول فلسطين وحيـــاة اللاجئين ، والثورة العربية في الجزائر وغير ذلك .

وان المضمون الوثائقي في شعر السياب يطغى كثـــيرا على غيره من المضامين .. والجدير بالذكر أن بعض قصائده الوثائقية لا تستطيع أن تقدمها هذه الصفة على غيرها من الناحية الفنية .. وأخص بالذكر بعض أشعاره السياسية ..

٤

وزخر شعر السياب ابتداء بديوانه « انشودة المطر » .. بالافكـــار والتأملات والمفاهيم ..

فقد حاول السياب في مرحلة انتسابه للحزب الشيوعي أن يضع في قصيدته كثيرا من المبادىء الماركسية التي اعتقد بها • وفي مرحلة تمـــرده وثورته عليها حاول ان يواكب جماعة التموزيين في معتقــداتهم وأفكارهـم فظل يحشو شعره بما تعلمه منهم أو كان منسجما مع نظرتهم الى المجتمع •

وفي مرحلة مرضه لجأ الى الالهيات والعقائد الدينية يقتبس منها ويضع في شعره •

ومن بين أعمق آثاره من الناحية الفكرية ملحمته (من رؤيا فوكاي) وهي حرية بكل عناية واهتمام لما تضمنته من أفكار إنسانية ذات طابع عـام شـــامل •

ويرى بعض القراء والباحثين أن قصيدة (من رؤيا فوكاي) قصيدة غامضة وأنها معقدة وينسبون اليها معاني عويصة وفلسفة غريبة وهي من كل هذا براء •

تتكون قصيدة (من رؤيا فوكاي) من ثلاثة أقسام : الاول مكتـوب بطريقة الشعر الحر من وزن الرجز وقافيته منوعة وعنوانه : هيـــاي •• كونغاي كونغاي والثاني من الشعر المحافظ من البسيط والقافية الموحـــدة وعنوانه : تسديد الحساب •

والثالث : من الشعر المحافظ كذلك ومن الوزن البسيط وتقع قوافيه في ثلاثة أنواع من الروي : الهاء ، والباء ، والراء •

تتحدث القصيدة ككل في أقسامها الثلاثة عن رؤيا فوكاي وهو كاتب في البعثة اليسوعية في هيروشيما •• جن من هول ما شاهده غداة ضـربت بالقنبلة الذرية •• ويمكن استبدال شخصية فوكاي بشخصية الشـــاعر نفسه •

في القسم الاول : يتحدث فوكاي أو السياب عن ثلاثة رموز : الاول : كونغاي : وهي ابنة أحد الحكام الصينيين •• تقول الاسطورة انها القـت نفسها في فرن لصهر المعادن من أجل ان تتحد المعادن وتنصهر فيتم لابيها تحقيق رغبة الحاكم الذي فرض عليه صنع ناقوس ضخم ولكنه لم يوفق في

صهر المعادن لانها أبت الانصهار الا اذا خلطت بدم عذراء •• فكانت العذراء ابنته التي أصبح صوت الناقوس كلما قرع يردد اسمها (كونغاي •• كونغاي) ولم تجد فعلتها شيئا لان الذين استفادوا من موتها كانوا آلهة الحديد والنحاس والدمار ••

والرمز الثاني : والد فرديناد أحد أبطال العاصفة لشكسبير الذي تحولت عيناه الى لؤلؤ يبيعه المتاجرون بهما •• وكان حظ ابنائه الدموع والعواصف والرصاص والحديد •

والرمز الثالث : البابيون القردة القبيحة التي تغني لطفل يتيم في قاع المحيط قتل طائر الحديد أمه •

ويلاحظ في الرمز الاول أن كونغاي عذراء ، والرمز الثاني أنه أب، والرمز الثالث : انه ابن •• وكل واحد منهم تغيرت حقيقته ••

العذراء استغل دمها الطهور آلهة الحديد •
والاب يتاجر بعينيه الرأسماليون •
والابن تتبناه القردة القبيحة البابيون

ونحن نعرف أن العقيدة المسيحية تؤمن بالاب والابن والروح القدس •• فاذا ربطنا بين هذا الاعتقاد وبين الصورة المشوهة لهذه الاقانيم كما وردت في القصيدة وبين المتحدث وهو فوكاي المبشر المسيحي الذي جن لما رآه غداة القاء القنبلة الذرية •• أدركنا ان السياب يتهم الغرب المسيحي ويرى انه قد شوه مسيحيته التي تدعو للسلام والاخوة والصفاء وتغيرت حقائق أقانيمه فلم تعد العذراء ولم يعد الاب ولم يعد الابن كما كان معروفا عنهم •

• • •

وفي القسم الثاني : يرى فوكاي •• أو يرى السياب أنمفهوم الانسانية العظيمة كما جاء به الاسلام قد تغير هو الاخر ايضا •• وقد استعان في شرح هذه الفكرة بالآية القرآنية الكريمة التي تقول :

[••• انّا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن

يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا ••]

سورة الاحزاب/الآية ٧١ •

تلك الرواسي كم انحط النهار على
أقصى ذراها وكم مرت بها الظلم
فما فرحن بآلاف الشموس ولا
من ألف نجم تردى مسها ألم ••
صماء ، بكماء ، لم تأخذ ولا وهبت
ولا ترصدها موت ولا •• هرم ••
لو أودع الله أياها أمانته
لنالهن على استيداعها •• ندم ••

• • •

ثم يقول مبينا ظلم الانسان لأخيه الانسان :

قابيل باق وان صارت حجارته
سيفا وان عاد ناراً سيفه الخذم

ثم يقول :

مشى على الارض خلق عاش في دمه
من وحشها في المخاض الاول الضرم
لو يقبض النور بالايدي لسوره
دون الورى •• ولتعم العالم الظلم

ويختم الشاعر هذا القسم مبينا أن الانسانية اذا لم ترعو عن غيها وتخفف من غلوئها فمصيرها الفناء :

ثم استزادوا فان لم يذهبوا دية
أو يقصروا عن طماح •• يرجح العدم

• • •

وفي القسم الثالث من الرؤيا •• يرى فوكاي أو يرى السياب مريضاً في مستشفى الصليب الاحمر في هيروشيما مصابا بالزهري وهذا المريض

يتخيل أوهاما دون وعي منه ..

ومن هذه الاوهام : صورة عيون سود تتطلع اليه فيتساءل عما يريد ثم يعرف أنها عيون بوم .

ومن هذه الاوهام : صورة امرأة ثكلى تفتش بين أجداث وهي محنية تقرى كل شاهدة عن قبري طفلها وتنادي ولا يرد نداءها غير البوم .

من هذه الاوهام التي يراها .. المريض المصاب بالزهري صورة سهل كثير الافاعي ، ماحل ، شديد الحرارة .. وهو فيه أبرص ، مضمد ينز قيحه الدامي ، ويشخب ويرعب مرآه أسراب الزرافات ويصيح هذا المريض يبحث عن الماء فتمطره الغيوم مطرا من الدم .

ويرى أيضا .. صورة الطبيب سازاكي وهو يملأ قنانيه من دماء المرضى ولا يثنيه عن شحذ مديته آهات مرضاه ، ولا يلهيه عن عمله عوادهم .. ويوضح أن الأطباء رسل الانسانية لا ينظرون لمرضاهم الا باعتبارهم أرقاما لجباية المال :

ما كنت يوما ولا المرضى سوى عرض
في عين سازاك يجبى منه ايجار
ست وعشرون أعداد على سرر
أما الاصحاء والمرضى .. فأصفار
فالرقم عشرون لا يسقى سوى لبن
والرقم عشر ، نعاه اليوم .. محرار
... الخ .

والواقع أن أوهام هذا المريض انما هي حقائق هذا العصر الذري ..

فالسياب يبين بهذه الصور المرعبة (العيون السود ، السهل الماحل الملتهب ، الانسان الرقم) أهوال القاء قنبلة ذرية واساءة استعمال العلم الذي خيب ظن البشرية وآمالها .

خلاصة هذه القصيدة او الفكرة الاساسية التي تحتويها : أن المسيحية مسخت أقانيمها الثلاثة واستغل تجار الحرب الابن والاب والعذراء ، وان

مفهوم الانسانية العظيمة ودعوة المؤاخاة بين قابيل وهابيل كما وردت في الاسلام قد تغيرت أيضا وشوهت ومسخت .. وأن العلم عاد وبالا على البشرية وتحول رسل الرحمة الى جباة ضرائب .

. . .

لقد احتذى السياب اليوت في ملحمة الارض الخراب واقتبس منه وحاول ان يغير ما اقتبسه قليلا .

فشخصية والد فرديناد وهي الرمز الثاني في المقطع الاول من الرؤيا كان قد جعله اليوت رمزا لولادة الحياة من الموت أما السياب فجعله رمزا لتشويه شخصية الاب في الديانة المسيحية .

وفي ملحمة اليوت عيون تطل وتشع .. أخذها السياب فجعلها عيونا سوداء .. عيون بوم مرعبة .

واقتبس السياب في هذه القصيدة مقطعا من قصيدة لايديث سيتول Lullaby وترجمه ترجمة حرفية وهو المقطع الخاص بالقردة البابيون .

وأراد السياب أن يطل كايليوت وسيتول على العالم الذري المعاصر بعيني مسيحي فرمز لذاته بفوكاي وتقمص شخصيته في القسم الاول ثم لم يكد ينتقل للقسم الثاني حتى ارتد الى عقيدته الاسلامية .

ومما يستحق التنويه ان الرموز المسيحية في كل شعره تظل تلوينا خارجيا مفروضا على الموضوع وتقليدا للموديل الشائع في الشعر الاوربي لا يتغلغل الى أعماقه أو أعماق فنه .

وأرى انه عرض مشاكل الانسانية المعاصرة في قصيدته وتركها بلا حل فلم يقترح سبلا معينة للخلاص كان يندب وينعى وينوح .. كما كان اليوت يندب وينعى وينوح في كاتدرائية خربة ـ كما قيل ـ .

. . .

والجدير بالذكر أن السياب حرص على أن يضع في كل ديوان من دواوينه ملحمة أو قصيدة طويلة وفي بعضها اكثر من واحدة ، وقد تهيأ

لبعض هذه القصائد الطوال أن تطبع منفردة مرة وضمن مجموعة شعرية مرة أخرى .

في ديوان « أزهار ذابلة » قصيدة « أهواء »

في ديوان « أساطير » « قصيدة الى حسناء القصر »

في ديوان « انشودة المطر » قصائد : من رؤيا فوكاي ، بورسعيد ، المومس العمياء ، حفار القبور ، الاسلحة والاطفال .

في ديوان « المعبد الغريق » قصيدة « شباك وفيقة » .

في ديوان « منزل الاقنان » قصيدة « سفر ايوب »

في ديوان « شناشيل ابنة الجلبي » قصيدة « ليالي السهاد »

ولو جمعنا قصائد السياب الجيكورية تحت عنوان واحد لكانت ملحمة متكاملة ، ولو جمعت قصائده التموزية كذلك لكانت هي الاخرى ملحمة تصور الاحداث في زمن عبدالكريم قاسم .

والسمة الاساسية في قصائد السياب الطوال ظاهرة الازدواج ، ازدواجية في الشخوص ، وازدواجية في العاطفة ، وازدواجية في المبنى ، وازدواجية في الموضوع الفني .

ازدواجية الشخوص تعنى أن كل شخصية في القصائد المشار اليها تمثل فرديتها وتمثل نوعها .

الحبيبة في أهواء تمثل ذاتها كقروية من جيكور وتمثل المرأة حواء بصورة عامة والسياب اراد المعنيين .

وحسناء القصر تمثل ذاتها كفتاة وتمثل الطبقة البرجوازية كما يفهمها السياب .

وفوكاي يمثل الكاتب اليسوعي او السياب من جهة ويمثل الانسان المعاصر وخاصة انسان هيروشيما من جهة اخرى .

والمومس العمياء تمثل ذاتها كظاهرة اجتماعية معروفة وتمثل الدم العربي المهان في ظل الاستعمار .

وأبو عتيق للبيع في قصيدة الاسلحة والاطفال يمثل ذاته كشخصية

فولكلورية معروفة كما يمثل تجار الحرب وصناع الاسلحة أيضا • والى آخره •

والازدواجية في العاطفة هي أن السياب في ظاهر قصائده يبدو عنيفا قاسيا لا يرحم قارئه ولا يعطف عليه من ناحية ومن ناحية أخرى يبرر هذه القسوة بأنها من أجل الخير والحق والجمال والعدالة فهو يقول في حفار القبور :

نذرٌ عليَّ لئن تشب لأزرعن من الورود
ألفاً تروّى بالدماء وسوف أرصف بالنقود
هذا المزار ، وسوف أركض في الهجير بلا حذاء
وأعدّ أحذية الجنود
وأخط في وحل الرصيف وقد تلطخ بالدماء
أعدادهن •• لاستبيح عدادهن من النهود
وسأدفن الطفل الرميّ وأطرح الام الحزينة
بين الصخور على ثراه •
•• •• •• ••
•• •• •• ••
أنا لست أحقر من سواي وان قسوت فلي شفيع
اني كوحش في الفلاة ••
أو ما ترى المتحضرين
المزدهين من الحديد بما يطير ، وما يذيع •• ؟
••• الخ •

صورة فيها قسوة ورعب ولكنها تحمل تبريرها •• أراد الشاعر أن يبين أن تجار الحرب هم أقسى من هذا الذي قد تشفع له أحواله وظروفه فما يشفع للمتحضرين المثقفين حين يشعلون النار ويتاجرون بالجماجم وينتهكون الاعراض ؟

وأزدواجية المبنى تعني أنــه يجمــع في قصائده الطــويلة بين الغنــائية والاسلوب القصصي .

وازدواجية الموضوع الفني تعني الجمع بين القبح الطبيعي وجمــال الاخراج الشعري .. فالمومس العمياء ، وحفار القبور ، والمريض المصاب بالزهري وأبو عتيق موضوعات قبيحة اخرجت اخراجا شعريا جذابا .

. . .

وتبدو شخوص الملاحم عند السياب رواسم تعين طريق تطوره النفسي فبطلة قصيدة أهواء كانت محبوبة وهي سيدة آمرة .. ولكن بطلة قصيدة حسناء القصر كانت موضع تهديد ووعيد ولعلها نظمت في اعقاب خطــوبة تلك الراعية التي أشرنا اليها سابقا .

وبطلة قصيدة « المومس العمياء » جاءت مدنسة ملوثة ..

وفي « حفار القبور » .. ماتت البغي واسترد الحفار منها ما كـــان أعطاها ..

ان تطور هذه الشخوص الانثوية يكشف مشاعر السياب حيال المرأة ويوضح حقده عليها وتخليه عنها شيئا فشيئا الى درجة أنه استرد منها ما كان أعطاها .. وعند هذه النقطة نعرف أن حبيبته وفيقة صاحبة الشباك قــد ماتت .

وفي قصيدة « بورسعيد » تختفي شخصية المرأة ويبـــدو الرجل في صورة « البطل ـ القدر .. » ..

ثم يتحول الرجل في ملحمة تموز الى أدونيس أو أتيس .. أي الى أسطورة . ويعود في رؤيا فوكاي .. مبشراً مسيحيا ..

ثم يكون البطل .. (الأنا) نبيا في (سفر أيوب) .. وبهذا يكون السياب قد حقق في شعره ما لم يحققه الواقع .. وقد لخص السياب كل ذلك بقوله :

(أحبيني لاني كل من أحببت قبلك ما أحبوني ..)

نثره وترجمته

١

الى هنا يكون القاريء قد عرف عطاء السياب في الشعر وأدرك أنه انتج الدواوين الشعرية التالية مرتبة حسب تاريخ صدورها :

١ ـ أزهار ذابلة صدر سنة ١٩٤٧
٢ ـ اساطير صدر سنة ١٩٥٠
٣ ـ حفار القبور صدر سنة ١٩٥٢
٤ ـ المومس العمياء صدر سنة ١٩٥٤
٥ ـ الاسلحة والاطفال صدر سنة ١٩٥٤
٦ ـ انشودة المطر وفيها طبع أيضا القصائد الثلاث السابقة سنة ١٩٦٠
٧ ـ المعبد الغريق سنة ١٩٦٢
٨ ـ منزل الاقنان سنة ١٩٦٣
٩ ـ أزهار وأساطير (أعاد طبع ديوانيه الاولين منقحين في بيروت).
١٠ـ شناشيل ابنة الجلبي صدر في يوم وفاته ولكنه مؤرخ سنة ١٩٦٥
١١ـ اقبال صدر بعد وفاته وفيه بعض تجاربه الشعرية الاولى سنة ١٩٦٥

وكان السياب يفضل ديوان المعبد الغريق على غيره من مجاميع شعره .. أما نثره وترجماته فسنتحدث عنهما في هذا الفصل .

ترك بدر تراثا نثريا لابأس به واذا كان هذا النثر تتضاءل قيمته في

حياته فهو يزداد أهمية بعد وفاته لا بسبب ما تحمله مخلفات الراحل من الذكريات التي تدعونا للتشبث بها والحرص عليها فحسب ولكن لما لها من قيمة علمية بالنسبة لدارسيه الذين يريدون الاستيفاء ويطمعون الى الدقة ويهدفون الى العمق .

ويتميز نثر بدر كشعره بميزات خاصة تبين أصالته وتحددها وتحفظ نسبة هذا النثر اليه .

وأول ما ألاحظه في نثر بدر أنه متعدد الصور .. فقد خلف عددا من الاستجوابات الصحفية نشر بعضها في العراق ونشر بعضها الاخر خارجه واذكر منها استجوابا له عن « شعر المغاسل » نشرته مجلة الاسبوع العربي في بيروت .

واستجوابا آخر نشرته جريدة « صوت الجماهير » البغدادية قام بالمقابلة السيد كاظم خليفة .

واستجوابا ثالثا في كتاب آراء في القصة والشعر تأليف السيد خضر الولي ..

واستجوابا رابعا في ملحق جريدة الجمهورية .. قام بالمقابلة السيد فؤاد قزانجي ..

وخلف السياب عدداً من المقالات الصحفية موقعة باسمه الصريح او باسم مستعار في جريدة الحرية الصادرة قبل ١٤ تموز ١٩٥٨ وبعد هذا التاريخ .

وفي جريدة الشعب الصادرة سنة ١٩٥٧ .

وفي جريدة العهد الجديد الصادرة في عهد عبدالكريم قاسم سنة ١٩٦١

وفي جريدة الايام الصادرة في عهد عبدالكريم قاسم سنة ١٩٦٢

وقام بدور المراسل الصحفي فساهم في تحرير مجلة « حوار » اللبنانية بما بعثه لها من رسائل ثقافية عن الحركة الفنية والادبية في العراق سنة ١٩٦٣

وتعرضت قصائده المنشورة في الآداب البيروتية لنقد الناقدين فانبرى لهم يناقشهم ويساجلهم ومنهم السادة : كاظم جواد ، وصلاح عبدالصبور ،

ورئيف الخوري وغيرهم سنة ١٩٥٥ •

وكتب السياب مقدمات لدواوين بعض الشعراء منهم راضي مهدي السعيد والفريد سمعان ، ومؤيد العبدالواحد وأهم مقدماته مقدمة ديوانه « أساطير » •

ودعي السياب ليحاضر فلبى الدعوة فحاضر في مؤتمر الادباء المنعقد في دمشق ٢٠–٢٨ ايلول ١٩٥٦ كما حاضر في مؤتمر الادب العربي المنعقد في روما تشرين الاول سنة ١٩٦١ •

ونشر السياب في الملحق الاسبوعي لجريدة الشعب البغدادية بعض الحكايات والاساطير عن الريف في البصرة منها :

كاسي حلاق القرية بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٥٦

شجاعة في يوم قائظ بتاريخ ١ شباط ١٩٥٨

« خالقو » يذهب الى المدرسة بتاريخ ١٥ آذار ١٩٥٨

عبد الماء في شط العرب بتاريخ ١٢ تموز ١٩٥٨

يضاف الى كل هذا اعترافاته المتسلسلة التي نشرتها جريدة الحرية البغدادية في عهد عبدالكريم قاسم بعنوان ـ كنت شيوعيا ـ •

والاحظ ثانيا : أن نثر السياب اغلبه يدخل في باب النقد الادبي والنقد الادبي للشعر خاصة•

ثالثا : حرص السياب على التركيز فلم يكن يرغب الاطالة والافاضة في الشرح ولعل هذا بسبب شاعريته •• لان الشاعر يميل الى تكثيف معانيه في أقل لفظ ممكن •

رابعا : يبرز في نثر السياب كشعره عنصر الذاتية والاندفاع العاطفي ويتضح ذلك خاصة في اعترافاته واستجواباته •

خامسا : لم يكتب السياب نثره الا مواكبة للظروف •• حتى يبدو وكأنه نثر مناسبات •

سادسا : غلبة عنصر المجاملة في كثير من انجازاته النثرية ويبدو هذا واضحا من تتبع الاسماء الادبية التي يشير اليها ففي بواكيره يشير الى الجواهري

والبياتي باكبار ثم برزت أسماء جديدة أمثال أدونيس ويوسف الخال ، وفي كتاباته الاخيرة اكثر من الاشارة الى وجوه سواها وكنت أحـــد هـــذه الوجوه .

واذا كانت المجاملة مما يشوب نثره فان في نثره شوائب أخرى اذ كتب بعض السفاسف الصحفية بدافع الحاجة الى المال وبحكم عمله في الجرائد اليومية العابرة .

وقيمة نثره الاساسية تكمن في كونه يلقي ضوءاً ساطعا على كثير من غوامض شعره وملامح ذاته وحقيقة ثقافته واطلاعه ومنابع فنه فهو جزء متمم لشاعريته لا يستطيع ان يستغني عنه محبو شعره ومريدوه .

٢

وخلف بدر تراثا من الادب المترجم ليس بالهين وهو يقع في فئتين، أما الفئـة الاولى فتشمل :

عيون الزا من شعر أراغون وهو كراس صغير طبعته ونشرته أسـرة الفن المعاصر ببغداد .

وقصائد مختارة وهو مختارات من الشعر العالمي لعدد كبير من الشعراء الاوربيين والامريكيين بينهم أليوت ، وسيتول ، ورامبو ، ولوركا ، وكافكا ، وبابلو نيرودا ، وازراباوند وغيرهم . سنة ١٩٥٥ .

وترجم مجموعة من اشعار ناظم حكمت نشرت بلا توقيع في جـريدة العالم العربي البغدادية المحتجبة كما يقول محمود العبطه الذى كان يشرف على الصفحة الادبية فيها .

وترجم ثلاث قصائد لايديث سيتول عن العصر الذري ومقالة عـن الاسطورة نشرت في مجلة التضامن العراقية الصادرة سنة ١٩٦٠ .

. . .

والفئة الثانية وتشمل مقالات سياسية وتعقيبات صحفية نشـــرت بلا توقيع في الجرائد التي عمل فيها السياب كسبا للقوت .

وكتاب مولد الحرية من مطبوعات مؤسسة فرانكلين وهو رواية نشرت سنة ١٩٦١ •

وكتاب الجواد الأدهم من مطبوعات مؤسسة فرانكلين أيضا وهو رواية نشرت سنة ١٩٦١ •

وساهم في ترجمة أحد فصول كتاب ثلاثة قرون أدبية باشراف جبرا ابراهيم جبرا نشر بعد وفاته سنة ١٩٦٥ •

وأرى أن أهم ترجماته هي الاولى لأنها اكثر انسجاما مع موهبة بدر وامكاناته وأصالته ولأنها ترجمت بوازع من ذاته وبرغبته •

وأول ما نلاحظه في تراجم الفئة الاولى أنها شعر أو متعلق بالشعر وهذا يدل على حرصه ان لا يبتعدعن اختصاصه كشاعر وان لا يذيب شخصيته في خضم من الاهتمامات قد تصرفه عن الشعر الى درجة القطيعة كما كان شأن غيره •

وألاحظ أن تراجم الفئة الاولى لم تتناول من الشعر الا ما كان حديثا أو معاصرا أو مجدداً •

فأراجون وناظم حكمت ولوركا وايليوت وسيتول وباوند انما هم معاصرون ، ومجددون في شعرهم تخلصوا من القوالب القديمة والتقاليد الموروثة •• ولعلهم أقطاب الشعر الحر في أوطانهم وفي العالم وهذا يدل على أن السياب كان يبحث عن ذاته حين يترجم •

ويلاحظ أنه في فترة ماركسيته كان يترجم للشعراء الشيوعيين وفي فترة نبذه ترجم لسواهم•• واعتقد أن الفصول المترجمة من كتاب « اعترافات الاله الفاشل » التي كانت تنشر الى جانب اعترافاته في جريدة الحرية يمكن ان تنسب له •

ومن هنا تكون قيمة ترجمات السياب أنها كانت تتمم شاعريته ففي الوقت الذى لم يكن في شعره أقواس ولا أساطير ولا جمل معترضة ولا أناشيد (كورس) داخل القصيدة ، ولا نقد للحضارة الجديدة ولا تعبير بالصور وغيرها مما هو من سمات الشعر الغربي لجأ الى الترجمة ليتمم

شاعريته بما يعوزها •• ولكنه حين تمكن من هذه السمات وعرف كيف يجاريها ويجيء بمثلها أو بأحسن منها توقف عن ترجمة الشعر لانه حقق في شعره ما كان يبحث عنه في ترجمته ••

ومن هنا يمكن القول باطمئنان انه لم يترجم شعراً بعد صدور ديوانه « أنشودة المطر » •

وبعبارة اخرى ان كتابة السياب ونظمه وترجمته يتمم بعضها بعضا وما لا تجده في شعره تجده في ترجماته وما لا تجده في ترجماته تجده في نثره وكتاباته ••

٣

وفيما يلي خلاصة لأهم آراء بدر في الشعر ••

يتحدث السياب عن خلود الادب ووظيفته فيقول :

لو قيض لنا أن نطلع على الآثار الادبية التي قال الزمن كلمته فيها بأنها رائعة خالدة لوجدنا أن سر خلودها وروعتها كائن في أنها جعلت من الصراع بين الانسان وبين الشر وقواه موضوعها •

ولنا في الاوديسة والالياذة والكوميديا الالهية ، وماكبث ، وفاوست، والفردوس المفقود ، وهي آثار ستة للشعراء الستة الذين أجمع النقاد على أنهم أعظم شعراء البشرية الذين لا سابع لهم ـ خير شاهد •

وقد كانت وظيفة الادب أو بالحري وظيفة الرائع منه تصوير هذا الصراع القائم بين الشر والانسان وما زالت تلك وظيفته حتى يومنا هذا وأود أن أبين ناحية مهمة هي أن الاديب حين يصور هذا الصراع لا يقف منه موقف المتفرج المحايد لأنه انسان قبل كل شيء فالقضية اذن قضيته والمعركة معركته وهكذا كان الادب وما يزال سلاحا من أسلحة الانسان التي شق ويشق بها طريقه نحو حياة أفضل •

(من محاضرته وسائل التعريف بالادب العربي)

والالتزام في رأي السياب مشروط بالجودة الفنية وحرية الفنان .

انا من المؤمنين بأن على الفنان دينا يجب أن يؤديه لهذا المجتمع البائس الذي يعيش فيه ولكنني لا أرتضي أن نجعل الفنان وبخاصة الشاعر عبدا لهذه النظرية ، والشاعر اذا كان صادقا في التعبير عن الحياة في كل نواحيها فلا بد أن يعبر عن آلام المجتمع وآماله دون أن يدفعه أحد الى هذا . كما أنه من الناحية الاخرى يعبر عن آلامه هو وأحاسيسه الخاصة التي هي في أعمق أغوارها أحاسيس الاكثرية من أفراد هذا المجتمع .

[من مقدمة ديوان أساطير]

والتجديد في الأدب أو الثورة الأدبية في رأيه :

عندي أن الثورة الناضجة نوع من أنواع التطور .. أنها استعراض للماضي ، للتراث ، واهمال الفاسد منه والسير بالشيء الحسن فيه الى الامام فالثورة على القديم لمجرد أنه قديم جنون وانتكاس اذ كيف نستطيع أن نحيا وقد فقدنا ماضينا .

ان الشعراء في العراق لم يثوروا على القواعد الكلاسيكية بالمعنى الدارج للثورة ولكنهم طوروا بعض العناصر التي اعتقدوا انها حسنة من عناصر التراث الشعري العربي وتخلصوا من بعض العناصر التي اعتقدوا بأنها أصبحت فاسدة .

وقال أيضا :

ولا بد لكل ثورة ناضجة ان تبدأ بالمضمون قبل الشكل فالشكل تابع يخدم المضمون والجوهر الجديد هو الذي يبحث له عن شكل جديد ويحطم الاطار القديم كما تحطم البذرة النامية قشورها .

[من استجواب معه للسيد خضر الولي ..]

ويتحدث السياب عن الوزن في الشعر فيقول :

لقد ثار اكثر من شاعر في كل بلد عربي على تلك الموسيقى الرتيبة التي تأثر الشعر العربي بها وتناولت الثورة في أول عهدها وحدة القافية ثم تعدتها الى الاوزان .. فهجر كثير من الشعراء المجددين البحور

الطويلة واستعاضوا عنها بالبحور القصـــيرة الا في القصائد التي ستلزم الفخامـــة .

وقامت دعوة الى الشعر المهموس كان أول من قادها الاستاذ الكبير محمد مندور .

وهناك فريق آخر من الشعراء ثار على وحدة الوزن منهم الشاعـــر الكبير المرحوم الياس ابو شبكة في غلواء والى الابد وبعض القصائد مـــن أغاني الفردوس والاستاذ خليل شيبوب في قصيدته القصر القديم والحديقة المهجورة وشعراء آخرون .

ولكن الانتقال من وزن الى وزن سواه كان كثيرا ما يسبب نشـــازا في الموسيقى لا تقبله الأذن الحساسة وللاستاذ مصطفى عبداللطيف السحرتي بحث ممتع عن الموسيقى في الشعر الحديث في كتابه القيم [الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث] نود للقارىء أن يرجع اليه .

وقد لاحظت من مطالعاتي في الشعر الانجليزي أن هناك الضربة وهي تقابل التفعيـلة عنـدنا مع مراعاة ما في خصائص الشـعرين من اختـلاف والسطر أو البيت الذي يتألف من ضربات مماثلة في النوع للضربات الاخرى في بقية الأبيات ولكنها تختلف عنها في العدد « في بعض القصائد » وقـــد رأيت ان من الامكان أن نحافظ على انسجام الموسيقى في القصيدة رغـــم اختلاف موسيقى الأبيات وذلك باستعمال الابحر ذات التفاعيل الكاملة على أن يختلف عدد التفاعيل من بيت الى بيت ..] .

[من مقدمة ديوان أساطير]

ورأى السياب في القافية :ــ

أما الثورة الحديثة على القافية فلها أسباب .. فبينما كان في وســـع الشاعر الجاهلي أن يكتب قصيدة على قافية اللام مثلا تتألف من ستين بيتـــا نرى الشاعر الحديث لا يستطيع أن يستعمل من هذه القوافي الستين سوى عشرين أو أقل ــ فالسجنجل والمتعكل والكلكل وغيرها ــ أصبحت كلمات

أثرية منقرضة أو شبه منقرضة ولكن هذا ليس الا جانبا من جوانب الموضوع •

والثورة الحية على القافية تتماشى مع الثورة على نظام (البيت) •• فلقد أصبح الشاعر الحديث يطمح الى أن يجعل القصيدة وحدة متماسكة الاجزاء بحيث لو أخرت وقدمت في ترتيب أبياتها لاختلت القصيدة كلها أو لفقدت جزءا كبيرا من تأثيرها على الاقل فهل يسمح الشاعر الحديث للقافية الموحدة بأن تكون حجر عثرة في سبيله هذا •• كما أن الشاعر الحديث مطالب بخلق تعابير جديدة عليه أن ينحت لا أن يرصف الآجر القديم ••

لقد شبعنا من تلك القوالب التي تفرضها القافية عليه ـ الجحفل الجرار ، والشفير الهاري ، والخيال أو النسيم الساري ، والصيب المدرار ـ هذه الصفات والموضوعات التي تتكرر قوافي لكل القصائد التي يجمعها بحر واحد وروي واحد !

[من استجواب له مع السيد خضر الولي ••]

ورأي السياب في الاسطورة •• :

مما يدفعنا الى استخدام الاسطورة في الشعر ان الالفاظ فقدت معانيها الأصلية في كل المجتمعات البشرية القائمة اليوم •• بينما ظلت الاسطورة محتفظة بجدتها ومعناها الاصيل •

وان استعمال الاسطورة في الشعر ليس جديدا على الأدب العربي فلعل شاعرنا العربي الكبير أبا تمام أول من استخدمها بين كل شعراء العالم ولو سار الشعراء العرب من بعد أبي تمام على خطه الشعري لكان بيننا اليوم الكثيرون ممن يضارعون ت•س• اليوت وايديث سيتول وسواهما في حسن استخدام الاسطورة •

[مقدمة مقالة مترجمة في مجلة التضامن]

ماذا بعد السياب ؟

١

هو بدر بن شاكر بن عبدالجبار بن مرزوق السياب ولد سنة ١٩٢٦ في قرية جيكور التابعة لقضاء أبي الخصيب وبعد أن اكمل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية التحق بدار المعلمين العالية فدرس الادب العربي أولا ثم انتقل الى فرع اللغة الانكليزية •

تخرج من دار المعلمين العالية سنة ١٩٤٨ وعين مدرسا في ثانوية الرمادي ثم فصل من التعليم وزج في السجن •• وأعيد تعيينه في مديرية الاموال المستوردة في وزارة التجارة وفي حدود هذه السنة انفك ارتباطه بالشيوعيين •

وتزوج السياب من احدى قريباته من آل العبدالجليل وهي عائلة طيبة من عوائل أبي الخصيب في حدود سنة ١٩٥٦ وفي هذه السنة كانت ثورة الجزائر فساهم مع غيره في التوقيع على عريضة احتجاج انتصارا لها •• كما حضر مؤتمر الادباء المنعقد في بلودان مرشحا عن الحكومة العراقية •

وفي هذه السنة ١٩٥٦ رشح للعمل في اللجنة الوطنية للادباء الثوريين المنبثقة عن الجبهة الوطنية في العراق •

وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عمل محررا في جريدة الجمهورية لصاحبها سعدون حمادي وعين مدرسا في اعدادية الاعظمية •

وفي سنة ١٩٥٩ اضطهد من قبل الشيوعيين وأدخل الموقف بسبب موقفه من القضايا العربية والقومية •

ثم انتقل الى البصرة ليعمل في مديرية الثقافة في مصلحة الموانيء العراقية بالبصرة وهناك عمل في تحرير مجلة الموانيء العراقية وساهم في عدد من الاحتفالات والمهرجانات الخطابية والشعرية •

وسافر الى لبنان ترافقه زوجته للمعالجة وعاد منه بلا جدوى وقد أنفق حتى المنحة التي استحصلها له لفيف من أدباء بيروت •• وبعدها سافر الى مؤتمر الادب العربي في روما سنة ١٩٦١ •

وتلقى نبأ ثورة ١٤ رمضان المصادف ٨ شباط ١٩٦٣ وهو في احدى مستشفيات لندن ففرح بها وعاد الى العراق •• ومن ثم تضاءلت قواه تماما ورقد في مستشفى الموانىء •• وبعد مستشفى الموانىء انتقل الى المستشفى الاميري في الكويت وهناك نال رعاية ولكن لم يصلح العطار •• فتوفي صباح ٢٤ كانون الأول ١٩٦٤ وقد ترك في عقبه ولدا اسمه غيلان وابنتين هما غيداء وآلاء •

وتسكن عائلته حاليا مع نسيبه السيد فؤاد طه العبدالجليل في محلة الأصمعي بالبصرة • وقد قال السياب أشعر أني عشت طويلا رافقت جلكامش في مغامراته •• وصاحبت عوليس في ضياعه وعشت التاريخ العربي كله •• ألا يكفي هذا ؟!(١)

٢

وكان لوفاة السياب صدى ووقع مؤلم •• فطفق أحبابه يبكونه ويندبونه ويشيعونه بقصائدهم ومقالاتهم •

وتحدثت بعض الجهات عن اقامة نصب تذكاري له في بيروت وأقيمت الندوات والاحتفالات في كل مكان من العراق الى القاهرة وتونس وبيروت وباريس •

والجدير بالذكر أن وفاة ت•س• أليوت ، وايديت سيتول ، وبدر شاكر السياب ، واحتجاب مجلة [شعر] ، ومذكرة منع الشعر الحر المنسوبة ليوسف السباعي •• وقعت في أوقات متقاربة ••

ومن الذين رثوا السياب السادة سعدي يوسف وعبدالرحمن غنيم ، وممدوح عدوان ، وعبدالامير الموسوي ، وقيس الياسري ، وحسين صعب ، ومحمد جميل شلش ، وسليمان العيسى ، ومحمد السيد ندا ، وشاذل طاقة ،

---

(١) من رسالة شخصية للسيد عاصم الجندي نشرت ضمن مقالة عن السياب في مجلة الاسبوع العربي البيروتية •

وحسن فتح الباب ، وعبدالرحيم أبو ذكرى ، وغيرهم وغيرهم .

فمما قاله الشاعر العيسى :

يا بـدر يا ريشـة غنت روائعهـا
ليسكر الجـوع بالصهباء ، والسأم
يا غربة الوحـي في أرض ممزقـة
بفطـرة الأمـل المذبـوح تعتصـم
صليت للمعبـد الدامي .. أترهبـه
بعد الرحيل ؟.. تساوي البرء والسقم
مدينة القحط ما زالت بـلا مطـر
واتخمت من سـواقي جوعنـا الديـم
يا شاعر النبرة السمراء .. يحملهـا
الى الخلود جناح ليس .. ينهـزم
غمست قلبك في المأساة فانسكبت
نعمى تضيء رحاب البؤس .. تنتقـم
نحن العطاشى ، وتسقى الأرض زفرتنا
ويعبر الطيف لا شكوى .. ولا نـدم
من شهقة الكلمات الحمر ، من دمنا ،
تخضر يا بدر .. تحيا .. تورق القمم

ومن القصائد الجيدة التي قيلت في رثاء بدر .. قصيدة سعدي يوسف وهو من البصرة ومن أبي الخصيب أيضا ومما جاء فيها قوله :

جيكور توقد في المساء الرطب فانوسا ولا تلقي ضياءه
ـ مات اليتيم وخلف امرأة وايتاما وراءه
يا رحمة الله التي وسعت شقاءه
يا أم من لا أم تغمض جفنه : كوني رداءه
ولتمنحي الجسد المعذب راحة ، والحلق قطره

ولتمسحي بالسدر جبهته ، وبالاعشاب صدره
هو طفلك المصلوب فوق سريره عاما فعاما
متقيح الطعنات ، مشلولا ، مضاما
يا رحمة الله التي وسعت شقاءه
قودي خطاه الى السماء فطالما حجبوا سماءه
وترفقي .. ان الجراح تسيل من قدميه تنبت وردة في اثر وردة
فلترفعيه الى جذور النخل حيث ينام وحده
ولتضفري من سعف نخلته مخده
حتى اذا ما أغمضت عيناه وانسرحت يداه
وتهدل الابنوس فوق جبينه .. كوني رؤاه
...   .
...   .
أيوب في جيكور ألقى عند قنطرة عصاه
وللحظتين تماوجت في عمق عينيه المياه
والخضرة البيضاء ، والصفصاف ،
وانطبقت على الكنز المبدد مقلتاه

٣

والذين تحدثوا عن بدر أكثر من الشعراء الذين بكوه وهم بين من كتب سلبا ومن كتب ايجابا .. أما السلبيون من عبقرية بدر فقلة لايتجاوزون أصابع اليد وكتبوا بدافع من اختلافهم معه في الاتجاه السياسي أو الاتجـاه الفني وهم ايليـا حاوي[١] ، وجليل كمال‌الدين[٢] ، وعلي الحلي[٣] ، وعبداللطيف الدليشي[٤] .

وأما الذين كتبوا عن بدر باعجاب واكبار فكانوا يمثلون نسبة عاليـة لم يحظ بها أي أديب عربي معاصر ..

(١) مجلة الآداب (٢) الشعر العربي المعاصر (٣) مجلة الآداب (٤) ملحق جريدة الجمهورية

كتبت ديزي الامير عن شخصية بدر فقالت :

لم يكن بدر وسيما ولم يكن غنيا ولم يكن من الوجهاء ولم يغفر المجتمع له هذا فقد لاحقه بهذه الحقائق حين أحب وحاربه حين أراد الاعلان عن هذه العواطف وعاقبه حين فشل في التغلب على هذه المقاييس وبدأ يحس أخطاءه حين مات الرجل •

وتجربة التعرف على مجتمع جديد ، وثقافة جديدة ومقاييس جديدة وممارسة هذه التجارب الجديدة كان الامر الذي طالما احتاجه بدر كشاعر وكأنسان ولكن كل هذا جاء متأخرا •• جاء وجسم بدر مريض ومسؤولية زوجة وأولاد تشده الى العراق •

وكتب عن نفسية بدر بلند الحيدري :

عرفته واحدا بسيطا كمدينته واضحا ككل شيء فيها •• وكان من أكثر شعراء جيلنا قربا من الناس فأحبوه لحد العبادة ، وكرهوه لحد اللعنة •• ولانه كان واحدا منهم فقد أحب نفسه وكرهها من خلالهم ومن أجل ذلك يظل بدر شاعرا انسانيا كبيرا •

ودرس السيد عبده بدوي حياته فقال :

ان بدر شاكر السياب عاش كأعمق ما تكون الحياة ، وأنه ما بين عامي ١٩٢٦ ـ ١٩٦٤ قد عاش في الوهج من كل شيء •• قد عرف النار والخوف والقلق والانتظار وقد كان وراء كل هذا شيء رهيب اسمه [المـوت] •

ويبين الدكتور لويس عوض علاقة السياب بالحركة الشعرية في العراق خاصة وفي الوطن العربي عامة فيقول :

هو ثالث ثلاثة لا يذكر الشعر الحديث في العراق الا ويذكرون : وهؤلاء هم : نازك الملائكة وعبدالوهاب البياتي ، وبدر شاكر السياب •

والذي لا شك فيه هو أن السياب قد علم أكثر شعراء المدرسة الحديثة أشياء أخذوها في فن القريض •

وبغض النظر عن مواقفه وتقلباته التي يتحدثون عنها كان قطبا من أقطاب الشعر الجديد ، وعمودا ضخما من أعمدته القليلة الضخمة وقد خسر الشعر الجديد كثيرا بعد أن هوى هذا العمود ...

ودرس السيد مطاع صفدي شاعريته فقال :

ان شاعر (أغنية المطر) يمثل الصدى الفاجع لايقاع الرعب بعد كل ضربة يحققها هذا الايقاع في ملحمة المصير الثوري ولذلك كان نموذج السياب هو [الثوري ـ الضحية] هو الثوري المقتول ، المذبوح ، المضحى به من قبل اقدار الكوارث والنكبات التي حلت ببغداد .

ومنذ قصائده الاولى اكتشف [قدر الصلب] بالنسبة للمبدع ، وخاصة المبدع على ارضنا ومن خلال أحداث جسام توالت على أرض هذه الامة وانسانها .

وقد قدر للسياب أن يكون واحدا من طلائعيي الشعر الحديث وأكثر من ذلك فانه أرسى الكثير من فنون التجديد في هذا الشعر ستصبح بمثابة تقاليد اساسية .. ولسوف تصبح دراسته من أهم ما يحتاجه كل شاعر جديد .

وربما كان لمن عرفه من أصدقائه وأنا واحد منهم أن يذكروا [بدراً] وكأن الرجل لم يصنع شاعره من انسانه .. ولكنه دأب على اكتشاف انسانه من شاعره .

وقال السيد فؤاد رفقه :ـ

ان السياب شاعر ينتهي في منطقة التجديد ، وهو أكبر شاعر حضاري ملتصق بشعبه العربي في هذا العصر ، ومع هذا الالتصاق فانه تعدى الحدود الحضارية الى الماورائيات باندفاعة قوية تساعده على اكتشاف مناطق جديدة في المغامرات الشعرية .. فالاجنحة قوية والاجواء واسعة بلا حدود .

ووقف السيد محمد الماغوط بوجه خصوم السياب فقال :

ما يحز في قلبي أيضا وأيضا ، هو أنني أستطيع التحدث طويلا عن بدر ولكنني لا أستطيع كتابة كلمة نقد واحدة عن شعره لان النقد عندنا هو

أكثر من مد الاصبع المملحة الى مناطق النزف في العمل الفني .

ولو افترضنا ان قيمة العمل الشعري تتوقف مثلا على ما سيلقيه الشاعر على قبر صغير في الصحراء لوجدنا أن السياب يلقى زهـرة وغيره يلقى فراشة أما البعض من شعرائنا المرموقين فيلقون [قاموسا] .

ولو اعتبرنا الفن ضريبة يدفعها الفنان عن حبه وكراهيته وسخطـه وغبطته وغربته ووطنه لكان السياب من أكبر دافعي الضرائب في شـعرنا الحديث .

٤

وفيما يلي نظرة مجملة نلقيها على واقع حركة الشعر الحر بعد وفـاة السياب :ـ

مات السياب بعد أن انتشرت حركة الشعر الحر انتشارا واسـعا في كل مجلة وجريدة .

مات السياب بعد أن صارت حركة الشعر الحر اتجاها أدبيا ولم تعـد محاولة طائشة ، ولا نزقا صبيانيا ، ولا فوضى لا رابط لها .. واصبح لهـذا الاتجاه نقاده ونظاريوه ..

ففي مصر يؤلف الدكتور محمد النويهي كتابه (في الشعر الجديد) يبين الجيد في هذا الاتجاه والغث ..

وفي لبنان يؤلف الدكتور احسان عباس كتابه عن البياتي والشـعر العراقي الحديث ، ويحاول الان تاليف كتاب آخر عن السياب .

وفي العراق تؤلف الدكتورة نازك الملائكة كتابها قضايا الشعر المعاصر وهو مكرس لقضايا الشعر الحر .

وفي المجلات والصحف عدد كبير من المقالات والابحاث في مفـاهيم الشعر الحر .. معه وعليه .

وقد أصبحت المناقشات حول الشعر الحر والشعر العمودي بعد وفاة

السياب أهدأ من ذي قبل ، وذات مستوى من التأمل وسعة الصدر أرفع بكثير من المستوى الاول •

كان المتعصبون عليه والمتعصبون له في بداية الحركة يذهبون مذاهب متطرفة فيها كثير من الغلو •

فالمتعصبون عليه يتهمونه بالشعوبية والسطحية والزيف وتحال نماذجه سخرية واستهزاء الى لجان النثر ويقولون انه خال من الوزن ، خال من القافية •

والمتعصبون له يقولون عنه بأنه الاسلوب الوحيد الذى يستطيع أن يعبر عن عصرية الفكر والثقافة ويتمشى مع المشاعر والعواطف الجديدة •

وكلا الطرفين يعتقد بوهم لا صحة له مفاده أن هذا النوع سيحل محل الشعر القديم وان المسألة حدية •• اما هذا أو ذاك •• فالمتعصبون له يقولون لا خير في القديم ، والمتعصبون عليه يقولون ليس أفضل مما كان ولا خير في جديدكم •

واليوم خفف طول النقاش من حدة هذا التعصب والغلو فأصبح أنصار القديم يقولون : هاتوا جيدا ولا عبرة بالاسماء •• وأنصار الجديد يقولون لا قيمة للجديد اذا لم ينطلق من القديم ويستفيد من تراثه ونحن نبحث عن الجودة في أي صيغة وجدت •

وبهذا تتفق نظرات الطرفين على ان كثيرا من الشعر الحر الذى ينشر اليوم هو شعر مبتدئين وان أقل من القليل في هذا الذي ينشر صالح لان يوضع موضع أكبار واعتزاز به كشعر أبي تمام والبحتري والمعري •

وتتفق نظرات الطرفين اليوم على أن عروبة الشعر الحر ليست موضع ريبة وشك بعد ان وجدوا ان شعراء هذا النوع لا يقتصرون عليه وهم لا يفرطون بأصول العربية في النحو والصرف والبلاغة •• وان قسما من العموديين لم تمنعهم عموديتهم من التنكر للعروبة ، وان قسما من شعراء الشعر الحر لم تقطع حريتهم أواصرهم القومية ولم تبعدهم عن خط النضال القومي •

ولو اردنا أن نستعرض الاسماء الكبيرة في سماء الشعر الحر بعد وفاة السياب وجدنا ان بعض هذه الاسماء قد توقف عن مواصلة الانتاج أو انزوى عن القراء على الاقل .

ومن هذه الاسماء مثلا .. الشاعرة نازك الملائكة التي أصدرت ديوانها قرارة الموجة ثم لم يتحدث القوم عن شعر جديد لها وانصرفت تكتب في النقد الادبي فألفت بعد كتاب القضايا .. دراسة قيمة في شاعرية علي محمود طه المهندس .

ومثل الشاعرة نازك .. الشاعر كاظم جواد الذي أصدر ديوانه « أغاني الحرية » ثم توقف عن الشعر أو انزوى .. ولم يؤلف حتى في غير الشعر ولم يترجم كما كان يترجم عن لوركا .

ومثل كاظم ونازك .. شعراء آخرون كثيرون كان لهم دورهم في تنمية حركة الشعر الحر وتطويرها وشد أزرها أمام الحملات التي واجهتها في البداية .

والقسم الآخر من أقطاب الشعر الحر لم يتوقف عن الانتاج ولم يبتعد عن الشعر والادب والفن ولكنه غير مجراه .

ومن هؤلاء الذين غيروا نهجهم الشاعر (أدونيس) فلقد تحول من قصيدة الشعر الحر .. الى قصيدة النثر ، ومن الشعر الغزلي العذب في قصائد اولى الى التصوف في كتابه « التحولات » .

ومنهم صلاح عبدالصبور الذي أكثر في أيامه الاخيرة من الكتابة عن المسرح وتأليف المسرحيات ورويدا رويدا يحاول ان يبدل اختصاصه الذي عرف به .

ومنهم أيضا عبدالوهاب البياتي الذي غير نهجه في الشعر الحر من حيث الشكل والمضمون الايدلوجي ..

وقسم آخر من شعراء الشعر الحر الذين عرفهم السياب يعكفون بعد وفاته على مراجعة نصوصهم الاولى واعادة النظر فيها وعرضها عرضا جديدا .

ومن هؤلاء النفر سعدى يوسف الذي أعاد النظر في دواوينه : اغنيات

ليست للآخرين ، و٥١ قصيدة ، والسهم والرماد •• واستخلص منها ديوانا شعريا جديدا مع اضافات قليلة سماه (قصائد مرئية) •

ومثل سعدي يلند الحيدري الذي أعاد النظر في دواوينه : أغاني المدينة الميتة ، وجئتم مع الفجر ، ليستخرج منها ديوانا جديدا هو (خطـــوات في الغربة) •

وتكاد أن تكون المواهب الشعرية الجديدة في الغـــالب من مناصري حركة الشعر الحر •• ومن بين هؤلاء محمد جميل شلش ، ومحمد الجبار ، وعبدالكريم الناعم ، وسامي مهدي ، وشاذل طاقة وابراهيم الزبيدي وغيرهم •

والجدير بالذكر أن الشعر الحر كسب بعض أقطاب الشعر العمودي خلال حياة السياب واستمر هذا الكسب بعد وفاته •• ومن هؤلاء الشـــاعر نزار قباني الذي كان من أبرز الشعراء العموديين وأرقهم كلمة وأعذبهـــم وزنا ، كسبه الشعر الحر فبدأ ينظمه وهو ينظمه بجودة •

ومن هؤلاء الشعراء سليمان العيسى الشاعر القومي الذي عرف بجزالة لفظه ونفسه الملحمي كسبه الشعر الحر فبدأ ينظمه وهو ينظمه بدرجة أقل جودة من شعره العمودي ••

ومن هؤلاء الشعراء ايضا •• فدوى طوقان •• وقد نجحت في النوعين وهما على مستوى واحد في آثارها •

والكلمة الاخيرة في الشعر الحر أنه تجديد عروضي وكل ما حمل من ميزات وخصائص هي ليست خصائص وميزات له وما يستطيعه الشـــعر الحر يستطيعه الشعر العمودي •• وأن الابداع مرتبط بالشاعر اكثر من ارتباطه بالصيغة والاطار الشعري ، وأن الاخفاق مرتبط بالشاعر اكثر من ارتباطه كذلك بالنوع الادبي •

والشعر العربي الحديث اصبح ينقسم الى ثلاثة اقسام •• هي القصيدة والموشح ، والشعر الحر •• وفي كل قسم من هذه الاقسام شعر جيد وشعر رديء ••

والسياب من بين الشعراء الذين كثر جيدهم في الشــعر الحر وقل رديئهم •• والميزات التي تميز شعره يفتقر لها كل شعراء الشعر الحر الذين جاءوا من بعده أو تصدروا الحركة •

فلا تعبير السياب ولا موسيقيته ولا مضمونه ولا لوحاته الشعرية تجد شبيها لها أو عوضا عنها في شعر عبدالصبور أو سعدى •• أو نزار قباني أو غيرهم •• ان مذاقه غير مذاقهم ••

ما زال الفراغ الذى تركه السياب من الناحية الفنية •• فراغا •

بغداد : ٢٧-٥-١٩٦٦ **عبدالجبار داود البصري**

الفهرس

المقدمة

٥ ـ ٦

التجربة

٧ ـ ٢٤

شاعرية السياب

بناء القصيدة

٢٧ ـ ٣٦

الاسلوب

٣٧ ـ ٦٠

المحتوى

نثره وترجمته

ماذا بعد السياب ؟

وزارة الثقافة والارشاد
مديرية الثقافة العامة

صدرت عن مديرية الثقافة في وزارة الثقافة والارشاد المطبوعات التالية :

	الثمن فلس	الثمن دينار
أولا ـ سلسلة كتب التراث		
١ ـ الدر النقي في علم الموسيقى : للقادري الرفاعي الموصلي وتحقيق الشيخ جلال الحنفي	٥٠	ـ
٢ ـ ديوان عدي بن زيد العبادي : تحقيق وجمع السيد محمد عبدالجبار المعيبد	٣٠٠	ـ
٣ ـ مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء لياسين بن خيرالله العمري ـ تحقيق السيد رجاء السامرائي	٣٠٠	ـ
ثانيا ـ سلسلة الكتب المترجمة		
١ ـ الاصطلاحات الموسيقية : تاليف أ. كاظم نقله الى العربية عن التركية : ابراهيم الداقوقي	١٠٠	ـ
ملحق ـ ١ ـ المستدرك على الاصطلاحات الموسيقية : للمؤلف نفسه وتعريب ابراهيم الداقوقي	١٠٠	ـ
٢ ـ رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر نقله الى العربية عن الالمانية الدكتور محمود حسن الامين . قدم له وعلق عليه السيد سالم الآلوسي	٢٠٠	ـ
ثالثا ـ سلسلة الكتب الحديثة		
١ ـ رائد الموسيقى العربية : تاليف عبدالحميد العلوجي	٢٠٠	ـ
٢ ـ معجم الموسيقى العربية : تاليف الدكتور حسين علي محفوظ	٢٠٠	ـ
٣ ـ جولة في علوم الموسيقى العربية : تاليف الاستاذ ميخائيل خليل الله ويردي	٥٠	ـ
٤ ـ الحرية : تاليف ابراهيم الخال	١٠٠	ـ

	الثمن	
	فلس	دينار
٥ ـ موجز دليل آثار سامراء : اعداد سالم الآلوسي	٥٠	ـ
٦ ـ موجز دليل آثار الكوفة : اعداد سالم الآلوسي	٥٠	ـ
٧ ـ النظام القانوني للمؤسسات العامة والتاميم في القانون العراقي : تاليف الاستاذ حامد مصطفى	٣٥٠	ـ
٨ ـ علي محمود طه ... الشاعر والانسان : تاليف انور المعداوي	٢٠٠	ـ
٩ ـ مؤلفات ابن الجوزي : تاليف عبدالحميد العلوچي	٢٥٠	ـ
١٠ـ أبو تمام الطائي : تاليف الاستاذ خضر الطائي	١٥٠	ـ
١١ـ من شعرائنا المنسيين : تاليف الاستاذ عبدالله الجبوري	٢٠٠	ـ
١٢ـ محمد كرد علي للاستاذ جمال الدين الآلوسي	٣٠٠	ـ
١٣ـ أدباء المؤتمر ـ للاستاذ عبدالرزاق الهلالي	٢٠٠	ـ
١٤ـ بدر شاكر السياب ـ للاستاذ عبدالجبار داود البصري	١٥٠	ـ

رابعا ـ سلسلة الثقافة العامة

	فلس	دينار
١ ـ المواسم الادبية عند العرب : تاليف عبدالحميد العلوچي	١٠٠	ـ
٢ ـ الادباء العراقيون المعاصرون واتجاهم : تاليف سعدون الريس	٥٠	ـ
٣ ـ تطور الحركة الوطنية التونسية منذ الحماية حتى الاستقلال : تاليف الدكتور لؤي بحري (نفدت نسخه)	٥٠	ـ
٤ ـ العلم للجميع : اعداد كامل الدباغ	٥٠	ـ

خامسا ـ سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث

	فلس	دينار
١ ـ اللهب المقفى ـ شعر حافظ جميل	٣٥٠	ـ

دار الجمهورية
بغداد
١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م

١٥٠ فلسا